بناء الشخصية الرئيسة وأبرز ملامحها في سورة يوسف

أ.د. أمين عبدالله محمد حسين اليزيدي*

ملخص:

تنظر هذه الدراسة إلى العناصر التي أسهمت في بناء الشخصية الرئيسة في سورة يوسف، من خلال استقراء هذه العناصر وكيفية إسهامها بفاعلية في إبراز سمات الشخصية الرئيسة وملامحها. على أساس أن شخصية يوسف هي الشخصية المركزية في السورة. من خلال استقراء بعض تكنيكات القص اللغوية المتمثلة في: بنية النص وأسلوبه (الوحدات النصية) وتكنيكات السرد (عرض السارد) و(لغة الشخصيات) وأثرها في إبراز الشخصية الرئيسة، ثم رسم صورة مشرقة للشخصية الرئيسة باعتبارها شخصية تتمتع بجملة من السمات القيادية، و بتلك السمات يمكن استجلاء بعض خصائص القيادة الرشيدة. فقد أظهرت القصة جملة من السمات التي ينبغي أن تتمتع بها الشخصية القيادية، متجلية في حياة يوسف الإنسان بطبيعته وتصرفاته، لا يوسف النبي، من خلال تطور شخصيته وإبراز صفاته الجسمانية والمعنوية، عبر المواقف العملية الطبيعية المؤثرة التي تعرض لها.

* أستاذ الأدب والنقد- كلية التربية بالمهرة –جامعة حضرموت- الجمهورية اليمنية.

Abstract:

The current study sheds light on the main motifs that contribute to constructing the main character in Surat Yousef via inducing these motifs and how they effectively help revealing features of Yousef, as he is the main character of the story. Some linguistic techniques of narration are induced, represented in the construction and style of the text (the textual units), narration techniques (the narrator's style and the language used by the characters), and their contribution to highlight the main character. A bright representation of the main character is portrayed as a leading character that has several leading characteristics through which some features of a wise leader are introduced. The story reveals several features that a leading character has which can be explicit in Yousef's life as a human being and not as a prophet by following the development of Yousef's character and focusing on his physical and moral features that appear during the sensitive situations he faced in his life.

مقدمة:

النص القرآني -قصة أو سواها- نصٌ قريبٌ من عالم الحياة الإنسانية؛ لأنه جاء لمعالجتها وتهذيبها وتقويمها في كل حالاتها، فهو يستوعب العالم الموضوعي المتقلب ضمن العلاقات الإنسانية المألوفة والمباشرة، مما يجعله وثيق الصلة بالحياة الإنسانية على الدوام، وكأنه يراقبها ويتفاعل معها، ومع آثارها الثقافية والاجتماعية والتعبيرية. والقرآن موصوف بأنه روح قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾[1]، وبما أنه روح فهو لا يزال حيًّا، ومن ثم فالسرد القرآني يعالج الحاضر كما عالج الماضي؛ لأنه في سياقه الإنساني غير

مجرد عن الطبيعة الإنسانية؛ فضلاً عن تفسيره العلاقة بين الكائنات. ولأن الأحداث في الكون وفي المجتمعات والأفراد تمضي على وفق قدر مرسوم وحكمة يعلمها الله فإن قص تلك الأحداث بطريقة ما، والتركيز على تفاصيل، وإغفال أخرى –أيضًا- يقع ضمن حكمة الله في تهذيب الإنسان المتلقي، بعد أن كانت تلك الأحداث تربيةً للإنسان الذي وقعت عليه، أو عقوبة له. كما أن من حكمته أن أساليب نظمه تقع ضمن دائرة الإعجاز اللغوي الذي يتضمن السرد القصصي باعتباره فناً لغوياً محبباً إلى الإنسان.

تتميز قصص القرآن عن غيرها بأنها حقائق وردت في سياق فني بديع، فأوفت وأربت على فن السرد، وفي الآن ذاته تجاوزت الكذب والخرافة ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[2]. فالنص القرآني لم يكن موجهًا عنايته إلى التاريخ فحسب، وليست قصصه مادة للسمر، فهو تاريخ ورواية، ولم يأت لغرض سرد الأخبار أو توظيف الأحداث التاريخية لصياغة رواية، بل سرد للتاريخ؛ لصياغة رؤية للمجتمع البشري من تجاربه البشرية وليس من خارجه، ومن الواقع وليس من الخيال، ومن الإله وليس من الأساطير، وهذا يجعلنا نصل مع النص السردي القرآني إلى أنه نص يوضح حقبة من حقب البشرية في تعاملاتها البينية، وفي تعاملاتها مع الكون والإله، وفي سلوكياتها ومشاعرها. كما أن قصصه تمتاز بمصداقية الخبر ومصداقية الوصف، وأنها لم تخضع للخيال، ولكنها تؤدي إلى التخييل، بإطلاق عنان التخيل لدى المتلقي وفق ما يسمح به التأويل، وبما يتوافق مع خلفيته المعرفية والإدراكية. مع تفوق القصة القرآنية في الأبعاد الفنية واللغوية، فالسرد القرآني لا يستحضر أجواء شبيهة بتلك التي حدثت فيها الأحداث وتحركت فيها الشخصية، بل يصف ما يفيد أن يندرج ضمن النص، متميزًا بواقعيته وصدقه. كما أن القصة القرآنية متعالقة، بمعنى أنها -غالبًا- لا ترد دائمًا في موضع واحد وسياق متصل، عدا بعض القصص، مثل: قصة يوسف، وقصة أصحاب الكهف، في حين تأتي القصص الأخرى في أكثر من موضع بما يناسب سياق ورودها.

غاية الأمر أن القصة القرآنية «تتناول الموضوع القرآني تناولًا فنيًّا، وهذا لا يعني أنَّ الفنَّ هو المراد الأول لتحقيق هذا الهدف السامي، بل هو أحد وسائل القرآن لتحقيق مبادئ الدعوة والتمكين لتعاليم الدين في النفوس»[3]، وهذا التناول للموضوع ضمن أسلوب القص قد ورد على منوال أساليب القص في العربية، أي أنه لم يُخلَّ بما يتضمنه القص من العناصر الجمالية، والإمتاع، وتحقيق الغايات التربوية، ومعالجة القضايا، فضلًا عن إصدار التعميمات القولية؛ فهو خطاب نزل ليكون عامًّا، ومعجزًا ومستمراً إلى قيام الساعة. وهو خطاب نزل ليكون خطاباً لأمةٍ كان الشعر ديوانها الأوفى والأشد أثرًا في توجهها[4]، وهذا يعني أنه سيكون خطابًا وافيًا بمتطلبات الخطاب الأدبي لهذه الأمة وغيرها من الأمم -على اختلاف لغاتها- فالقوانين الأدبية تتقارب فيما بين اللغات، مع احتفاظ كل لغة بميزة تميزها في أدائها للغتها وتعبيرها الفني والأدبي، وبما يعكس ثقافة مستخدميها ومتكلميها.

وتختلف قصة يوسف عن غيرها في أنها لم تكن في سياق الرسالة لقوم كافرين، أعرضوا فحل بهم العقاب كما هو حال معظم قصص القرآن[5]، وأن مناسبة نزولها لم يكن التحذير، بل الإعجاز السردي والإخباري، ولم تكن قصصًا ضمن الآيات التي تتناول العقيدة والتوحيد، مع أنه موجود، لكنه ليس الشاغل الرئيسي لها؛ فقصة يوسف لم تخل من موضوع العقيدة، وكذا قصة أصحاب الكهف و قصة لقمان و قصة ذي القرنين. وهذا الأمر، أي عدم خلو القصص من البعد العقائدي، ينسجم مع وحدة الموضوع القرآني وتكامله، ومن ثم فالجمالية –في نطاق هذا البحث- هي للسرد وأسلوبه، وللانتقاء المقصود للمادة المسرودة، بما يفي بامتاعيتها ومقصديتها وفنيتها، في نطاق الدراسة المحدود ببناء الشخصية الرئيسة.

وسيكون اهتمام الدراسة موجها نحو الشخصية الرئيسة، من حيث البعد الروائي وعلاقته بعناصر السرد، لا سيما اللغة؛ كونها هي التي تتمظهر فيها عناصر السرد ووظائفه وزمانه ومكانه وأحداثه، كما لن تُغْفِل الدراسة البعد التربوي والتهذيبي المفهوم من المسرح والأحداث والعواقب، وهو ما يمثل إحدى وظائف الفن والأدب عموما والسرد القرآني على وجه الخصوص، أو

المستخلص من اللغة الصريحة في العبارات الموضحة للعواقب والمصائر بعد المقدمات والأزمات[6]، والمستوحى من عناية السرد بالشخصية عن طريق المشاهد الحوارية.

التكنيكات اللغوية الفاعلة في بناء الشخصية الرئيسة

مدخل:

مما يمتاز به القصص القرآني، «رسمه للشخصيات؛ ملامحها وأعمق خلجاتها النفسية، واتكائه على غريزة حب الاستطلاع في النفس البشرية حين يستحوذ على مشاعر القارئ، فلا يدعه يلتقط أنفاسه أو يفتر اهتمامه قبل أن يصل به إلى نهاية القصة...»[7]؛ ذلك «لأن الشخصيات في القص القرآني هي التي تحدد مصيرها باختيارها، بعد أن منحها الله نعمة العقل، وأرسل إليها الرسل مبشرين ومنذرين...»[8].

و«يعتمد السرد منذ بدايته على تحديد ملامح الشخصية الرئيسة؛ بالاقتراب من صورتها السيمية أو المظهرية؛ فيتم التعريف ببعض ملامحها أو صفاتها الخُلقية في تعاطيها الكلام»[9]. ويكون التعريف بحسب الحاجة، وتكون العناية بالتفاصيل بحسب ما يتطلبه السرد روائيًّا، وبما يتناسب مع الغرض السردي، سواء من حيث الإمتاع أم من حيث الموعظة والعبرة. ونلحظ أن تعريف السارد بالشخوص كان بحسب الحاجة؛ مستغلًا في ذلك: 1- الإمكانات التعبيرية اللغوية والسياقية، كالتقديم، والتأخير، والفصل، والوصل، وحكاية الأقوال... إلخ. 2- وموظفًا للإمكانات الروائية، كالفجوات الزمنية، والإضمار، والتشويق، بما يجعلها عوامل تشويق، كما أنها تؤدي إلى إتاحة الفرصة أمام المتلقي لإطلاق قوته التخيلية في ملء فراغات سردية متعمدة... إلخ. 3- وحاكيًا لعباراتهم بحسب الحاجة أيضًا. ذلك كله للوصول بالشخصية الرئيسية إلى الذروة، ولتحقيق الغايات التربوية والتهذيبية المتوخاة من القص، فضلا عن الغاية الإمتاعية والمعلوماتية.

وفي قصة يوسف كانت شخصية يوسف هي الشخصية المركزية في القصة، وتتجلى عناية النص والسياق السردي في رسم صورة تفصيلية عن الشخصية الرئيسة تتناسب مع الغرض من

القصة في رسم صورة للشخصية من حيث هي شخصية بشرية، دون التعرض العميق لنبوتها وما تحمله من رسالة، فالقصة تتتبَّع حياة يوسف الإنسان بطبيعته وتصرفاته، لا يوسف النبي، وتطور شخصيته بإبراز صفاته الجسمانية والمعنوية من خلال المواقف العملية الطبيعية المؤثرة التي تعرض لها، وفي هذا واقعية للحدث وتطوير للشخصية الرئيسة؛ تمهيدًا لتطورها النهائي، من خلال عرض الشخصية باعتبارها شخصية سردية، ثم رسم صورة مشرقة لها باعتبارها شخصية قيادية، تعمل على تهذيب المتلقي؛ فالسرد القرآني موجَّهٌ ذو وظيفة وليس صنعة أدبية وفنية فحسب، بل هو مؤطر للتربية وتفسير العلاقة بين الكائنات في ضوء منهج إلهي. ومن ثم فالوعظ، والمعالجة، والومضات الفكرية، واللمسات الإنسانية العامة في النص القصصي القرآني ليست عمليات تكنيكية أو خضوعاً لمنهج بنائي ما، فالقصص في القرآن مسوق أساسًا للوعظ والاعتبار والتثبيت، ومع ذلك لم تؤثر تلك الوظائف على وظيفتي الإخبار (السرد)، والإمتاع.

مرَّت شخصية يوسف بمراحل النمو الطبيعية، ومرَّت أيضًا بظروف استثنائية، أكسبته هاتان الحالتان مهارات وقدرات عديدة، غرست فيه الحكمة والصبر والإيمان والحنكة... إلخ؛ لأنه قد عايش الحالات الإنسانية الممكنة حينئذ، فقد كان الولد المراقَب بعين الرعاية من أبيه، أو بعين الغيرة والحسد من إخوته، ثم كان بضاعة، ثم كان رقيقًا مملوكًا يعيش في كنف الرعاية الملكية، وفي كنف الرعاية الملكية يتعلم فنون إدارة الدولة وعلومها، ويتعرض لفتنة النساء وسطوتهن، ثم يكون سجينًا مظلومًا؛ ليعيش حالة متناقضة مع ما عاشه في بحبوحة القصر، ثم أصبح عالمًا متمكنًّا، ثم قائدًا مُنقِذًا، ثم أخًا وفيًّا، ثم عبدًا لربه في كل الأحوال. وكانت لغته تتناسب مع المرحلة التي يمر بها، ومن ثم فهو شخصية متنوعة الوظائف والأدوار، أي أنها لا تؤدي وظيفة نمطية في القصة ولا في حياتها، بل هي شخصية تمتلك قدرات ومهارات متعددة، ساعدت الأحداث والمواقف التي مرت بها على إبراز هذه المهارات أو تطويرها، أو اكتساب قدرات جديدة.

ففي مرحلة الحضور مع والده أسرَّ إليه بالرؤيا، وهذا ما تم انتقاؤه من السارد العليم لأهميته ولأنه أساس القصة. ولم يؤثَر أنه حاور السيارة. وتُظهِر المشاهد الحوارية أن يوسف كان يخرج من أزمة إلى أزمة؛ بفعل التزامه بمبادئه التي يؤمن بها، ويقتطف السياق مقولات يسيرة طوال تلك المرحلة؛ ففي قصر العزيز لم يفصح النص عن محاورات كثيرة، منها قوله: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ ۖ﴾ وهذا التعبير يتوافق مع شخصية المملوك المتسم بالأمانة ورقي النفس؛ سواء أكان يقصد الملكَ بقوله: (ربي) أم الإله سبحانه وتعالى، فكلا التوجيهين صحيح، وكلاهما يتناسب مع أمانته وقوة شخصيته، ومع سياق القصة. كما يظهر من الوصف السردي أن يوسف كان شخصية لها نباهة وفهم، وحسن خُلُق، وبيان قول، وفصل حكم، فقد قال الله عنه:﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[10].

آليات بناء الشخصية الرئيسة والتعريف بها في القصة:

يرى الباحث أن هناك عناصر سردية عديدة أسهمت في إبراز الشخصية الرئيسة، ومن هذه العناصر: بنية النص وأسلوبه (الوحدات النصية)، وتكنيكات السرد (عرض السارد)، و(لغة الشخصيات). ومن استقراء نص القصة وأحداثها نجد أنه قد تم التعريف بالشخصية الرئيسة في القصة بثراء واضح، من خلال عدد من عناصر القص ومحطاته، ولغة القصة، وتتمثل في المؤشرات النصية ومنها: محطات التعريف، والعتبات، والاستباق، ومشهد العاقبة والمصائر، وعناصر أخرى مثل: الأزمات والأحداث. كما أن لغة الشخصيات المتجلية في مقولاتها في المشاهد الحوارية تعد سبيلًا من سبل التعريف بالشخصيات. وإذا كان هذا التعريف بالشخوص قد تم باللغة وبالسرد وتقنياته فإن لغة الشخوص في مواقفها العملية ستكون أكثر إفصاحًا عن مكنون الشخصية ونفسيتها، لاسيما إذا كانت هذه الأقوال حقيقية وواقعية.

أولًا: بنية النص وهيكله (الوحدات النصية)

نلحظ أن التأسيس لشخصية يوسف السردية والمتميزة بوصفها الشخصية الرئيسة، أو شخصية البطل المتفرد قد تم منذ البداية، بالتعريف به في بداية القصة مع العتبات النصية الأولى، فقد بدأت القصة بالتأسيس للشخصية المركزية منذ ابتداء العتبات النصية متمثلة في العنوان (اسم السورة)، ثم في المقدمات والتهيئة التي تمت للدخول إلى عالم القصة في قوله: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ...﴾، ثم في تحذير الأب لابنه من الكيد والمكر الذين قد يتعرض لهما، ثم في الدخول القرآني إلى عرض القصة في قوله: «لقد كان في يوسف وإخوته»، ولأهمية هذا العنصر في بناء شخصية يوسف باعتبارها الشخصية الرئيسة في القصة فينبغي التوقف عندها بقدر من التفصيل. من خلال استعراض العتبات النصية والمقدمات على النحو الآتي:

1- **العتبات النصية والتهيئة لتلقي النص «الاستباق الموضوعي»**تتمثل العتبات النصية في «كل ما يفضي بالقارئ إلى المتن الأدبي، كالعنوان، والإهداء، وتعليقات المؤلف،...»[11]، وهي «مجموع العناصر المشكلة لمحيط النص (...)،أي كل ما يسمح بوجود النص، وكل العناصر التي تقدم للقارئ مجموعة مهمة من المعلومات تكون غالبًا محددة لقراءته. وهي كل الخطابات المرتبطة بالتعليق والتقديم لنصٍ ما، سواء أكانت للكاتب أم لغيره»[12]. ويمكن أن تمثل المقدمات والعتبات نصوصًا محاذية (موازية) للنصوص الأصلية، «والنصوص المحاذية هي تلك النصوص التي تمهد للنص المتن، عن طريق تأطيره في سياق نوع أدبي معين محدد مثل: كتابة رواية، أو ديوان شعر (...)، إن هذه النصوص المحاذية تؤطر نص المتن وتضعه في سياق أدبي ومؤسسي خاص»[13]. وهذه العتبات «أول لقاء مادي محسوس بين الكتاب والقارئ الحصيف، الذي تراهن استراتيجية الكتابة على حسه وحدسه الإبداعيين، اللذين يشفان عن أفعال قرائية، تتعامل إيجابًا مع هذه العتبات خاصة، بوساطة ما تقترحه تلك القراءات من اجتهادات وتأويلات وتنظيرات تزيد من غنى تلك العتبات، وتفتح آفاقًا متعددة للحوار النقدي، فكل عتبة يفترض أن تخلق وضعية تواصلية معينة»[14]،بناءً على ما تقدمه

من المعلومات والتأطير للنص، أو لتوجيه القراءة، أو لتحديد نوعيةٍ ما من القراءة. ومما يقوم بدور العتبات المقدمات النصية التي ترد في مقدمة المتن، ومن ثم فإن المقدمات النصية الأدبية ليست مقدمة منهجية تأطيرية، كما هو حال مقدمات البحوث العلمية، «أما المقدمة في النص الأدبي فإنها (عتبة seui) من العتبات التي تحملنا إلى فضاء المتن المركزي، الذي تستقيم قراءتنا له بالاطلاع عليها»[15]. وتُعَدُّ هذه النصوص –العتبات والمقدمات النصية في النص الأدبي- في نظر الدراسة صورة من صور الاستباق، ليس في موضوعه الزمني، وهو الموضوع الأساس للاستباق، ولكن في موضوعه الموضوعي والنصي، إذ إن هذه النصوص تستبق فهم القارئ واستخلاصاته، بما تقدمه من تصور وتوجيه وتأطير مساعد للقراءة، وبما يسمح ببناء أفق توقعات لدى المتلقي، يتابع من خلاله القص؛ ليجد ما يدهشه بتوافقه أو بمفاجأته. فالعتبات قد تقوم ببرمجة نموذج القراءة وسلوك القارئ[16]. وعليه فإن العتبات «ليست نصوصًا قطوفها دانية، بل هي عتبات لا تخلو من دلالات متعددة وملتبسة بتعدد سياقاتها التداولية، واختلاف وظائفها وطبيعة مستهدفيها»[17]. ومن هنا يأتي تصنيف العتبات ضمن درس الاستباق على أنها استباق موضوعي. وقد توجد مقدمات داخل فصول القصة لم يتم التطرق إليها اكتفاء بالمقدمات المؤَسِسَة في بداية القص[18]. ولأن النص موضوع الدراسة نص قرآني فإنه خالٍ من عتبة الغلاف، ومقدمة الناشر أو المؤلف ونحو ذلك، ومن ثم فسيكون النظر إلى عنصرين فقط من عناصر العتبات هما: التسمية، والمقدمات النصية.

أ- **التسمية:** يُعدُّ العنوان في النص الأدبي –لاسيما النص الحديث- بوابة للولوج إلى النص. وكما يكون العنوان صريحًا في التعبير فقد يكون ذا طبيعة رمزية، لكنه في كل الأحوال جزء لا يتجزأ من مكونات النص الأدبي الحديث. وقد اهتم النقاد والبلاغيون والمتلقون قديما وحديثا ببدايات النصوص ونهاياتها؛ لأهمية هذه المواضع في جذب انتباه المتلقي؛ للتفاعل مع البنية التشكيلية والدلالية للنص. والعنوان هو أول تجليات الخطاب التي يقابلها المتلقي قبل أن يشرع في استقبال النص. ومع أن وظيفة العنوان الأساسية هي التحديد والتسمية، فإن دلالته

تتأسس باعتباره دالاً يكتمل بمدلوله، وأفقا يفتح المجال أمام توقع المتلقي[19]. «وبما أنَّ قدرًا كبيرًا من الوقت يُنْفَق في اختيار الأسماء فلا ينبغي أن تُؤْخَذ باستخفاف»[20]. لذلك يتطلب اختيار العنوان «وعيًا دقيقًا وتفكيرًا مليـاً، فهو ليس مجرد كلمة يضعها الناص بعد فراغه من النص، بل هو عنصر موجه للدلالة»[21]. وتعد العناوين بشكل عام -داخلية كانت أم خارجية- من العتبات النصية (Seuits) المهمة، إن لم تكن أهمها على الإطلاق، بالنظر إلى ما تتميز به من مقومات خاصة تضفي عليها قيمة تواصلية (Forceilcocutoir) عالية[22]. أما الوظائف التي يمكن أن يتجه فيها العنوان نحو المتلقي فأبرزها «الوظيفة التأويلية التي يسهم فيها القارئ، ويغدو شريكًا مهمًا للكاتب في منح العنوان مجموعة من القراءات الممكنة»[23].

ب- **الإطار العام:** صرَّحت المقدمة النصية للسورة أن النص السردي هو جزء من نص عام اسمه: القرآن. وقد تكرر ذكر القرآن مرتين في مقدمات سورة يوسف، أولًا في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ «وقُرْآناً حَالٌ مِنَ الْهَاءِ فِي أَنْزَلْناهُ، أَيْ كِتَابًا يُقْرَأُ، أَيْ مُنَظَّمًا عَلَى أُسْلُوبٍ مُعَدٍّ لِأَنْ يُقْرَأَ لَا كَأُسْلُوبِ الرَّسَائِلِ وَالْخُطَبِ أَوِ الْأَشْعَارِ، بَلْ هُوَ أُسْلُوبُ كِتَابٍ نَافِعٍ نَفْعًا مُسْتَمِرًّا يَقْرَأُهُ النَّاسُ، وعَرَبِيًّا صِفَةٌ لِـ (قُرْآناً)فَهُوَ كِتَابٌ بِالْعَرَبِيَّةِ لَيْسَ كَالْكُتُبِ السَّالِفَةِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَسْبِقْهُ كِتَابٌ بِلُغَةِ الْعَرَبِ»[24] وما دام كتاباً فهو مما يتسم بسمات النصوص الكتابية، وما دام قرآنًا على أسلوبٍ مُعَدٍّ لأن يُقرأ، فهو يتسم بما تتسم به النصوص الشفوية، ومن ثم فإنه يتسم بالخصائص الشفهية والكتابية. ثم ذُكِر لفظ القرآن في قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾.

ج- **ازدواجية التسمية: سورة يوسف:**

في المركب الإضافي (سورة يوسف) إشارتان إحاليتان: الأولى مفهومة من أحد عناصر النص وهو الإطار العام، أي القرآن، فمصطلح سورة اختص به النص القرآني، والإحالة الأخرى مفهومة من اسم علم لشخصية تاريخية، ربما لم يكن معلوماً وجودها عند العرب، وإن كان لديهم عِلم

بوجود اسم عَلم بهذا المسمى فهذا يحيل إلى اختصاص السورة به، كما يوحي العنوان بجعل التسمية مطابقة لمضمون السورة وليست من باب تسمية الكل باسم الجزء. أي أن تسمية السورة بـ«يوسف» -وهي تتضمن قصته على امتداد السورة-تسمية متطابقة، وهذا يعني أن التسمية بمثابة عنوان وعتبة للقصة. وهذان الاختصاص والتطابق أمران لا نجدهما في السور الأخرى التي تحمل أسماء الأنبياء مثل: سورة هود، أو يونس، أو إبراهيم، أو محمد، فالتسمية كانت من باب تسمية الكل باسم الجزء، فسورة يونس لم تذكر قصة يونس، مفصلة وكذا سورة هود، وسورة إبراهيم. أما سورة يوسف فإن «وَجْهَ تَسْمِيَتِهَا ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّهَا قَصَّتْ قِصَّةَ يُوسُفَ-عَلَيْهِ السَّلَامُ- كُلَّهَا، وَلَمْ تُذْكَرْ قِصَّتُهُ فِي غَيْرِهَا. وَلَمْ يُذْكَرِ اسْمُهُ فِي غَيْرِهَا إِلَّا فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَغَافِرِ. وَفِي هَذَا الِاسْمِ تَمَيُّزٌ لَهَا مِنْ بَيْنِ السُّوَرِ الْمُفْتَتَحَةِ بِحُرُوفِ الرَ..."[25].

وهذا الأمر، أي أن يكون العنوان طاغيًا على المضمون ومسيطرًا عليه، على هذا النحو منذ عتبة العنونة، إنما يشير إلى أن القصة كلها هنا تعادل الشخصية الرئيسة[26]، ويؤكد ذلك سلطة حضور الشخصية التي حضرت بقوة منذ وضع تسمية تعريفية للسورة، وهو اسم الشخصية التي تُشَكِّل حضورًا خطيًّا وفعليًّا وبصريًّا جليًّا على مساحات السورة كلها ومشاهدها، وطبقاتها، وجيوبها، وظلالها.

ولعلها السورة الوحيدة التي تتميز بخلوصها إلى موضوع قصتها إلى آخر السورة؛ ليأتي التعقيب والتهذيب بعد اختتام مشهد المناجاة، ومن ثم فإن التسمية لها دلالاتها، فالنص/ القصة تعاملت مع الموضوع والشخصية بوصفهما قصة، وليس بوصفهما موضوعا عقائديًّا، ومن ثم لم يتم التطرق إلى شخصية يوسف النبي، بل التركيز على شخصية يوسف الإنسان، بلا معجزات ولا آيات و لا رسالة خاصة به. وشخصية يوسف -شأنها شأن الشخوص الواردة في قصص القرآن الكريم- ليست مخترعة أو محاكاة، ولكنها حقيقية في نموذج بشري حقيقي، وفي تجربة حقيقية؛ للإفادة منها في الحياة اليومية للأفراد والمجتمعات. فهو نموذج للشخصية القدوة.

2- **المقدمات النصية/العتبات**: تبدأ السورة بعدد من المقدمات النصية والعتبات المهيئة للسرد؛ لتهيئة المتلقي بعدد من المقدمات التي لها سلطة توجيه القراءة؛ لأنها تقترح تعليقًا مسبقًا على النص الذي لا يعرف عنه أي شيء، وتقدم له معلومات عن النص وما يتعلق به[27]؛ إذ تبتدئ القصة/السورة بالتشويق اللغوي والسردي، فالتشويق اللغوي بالحروف المقطعة «آلر»[28]. ثم التحدي اللغوي والأسلوبي اللذين نزل النص بلسانهم، والتحدي لغيرهم بما فيه من العبر والتفاصيل،﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾، أما العرب فلكون العرب لا يعلمون بهذه القصة ولا بإشارات عنها، وأما غير العرب فكان لدى بعضهم علم بها كعلماء بني إسرائيل. وَنُزُول هذه القصة «قبل اخْتِلَاط النبيﷺ بِالْيَهُودِ فِي الْمَدِينَةِ مُعْجِزَةٌ عَظِيمَةٌ تتجلى فِي إِعْلَامِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُ بِعُلُومِ الْأَوَّلِينَ، وَبِذَلِكَ سَاوَى الصَّحَابَةُ عُلَمَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي عِلْمِ تَارِيخِ الْأَدْيَانِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَذَلِكَ مِنْ أَهَمِّ مَا يَعْلَمُهُ الْمُشَرِّعُونَ»[29]. ومن ثم فنزولها مفصلة ودفعة واحدة فيه تحدٍ لغير العرب. أما المقدمة الثانية فتتجلى في: أنها قصة لا علم للعرب بها من قبل، و يكشفها القرآن لهم للمرة الأولى، ومن ثم فهي تتضمن التحدي السردي والإعجاز المؤيد لمحمد ﷺ[30].إذ لم «تذكر قصَّة نبي فِي الْقُرْآنِ بِمِثْلِ مَا ذُكِرَتْ قِصَّةُ يُوسُفَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فِي هَذِهِ السُّورَةُ مِنَ الْإِطْنَابِ»[31].

ثم تهيئة المتلقي بتشويقه وبيان موضوع النص وجنسه القصصي الذي وصف بقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ وهذه العتبة بهذا اللفظ «أحسن القصص»[32] لم تطلق إلا على قصة يوسف، ولعل في هذا إشارة إلى أن هذه القصة/ النص السردي يتضمن إعجازًا أسلوبيًّا في فن القص، ورواية الأحداث، وانتقاء ما ينبغي أن يُسرد، واشتماله على أفانين القص المختلفة. وفي هذه العبارة: «نحن نقص عليك..» تحديدٌ للنوع الأدبي؛ لأن «لكل جنس أدبي أشكال تعبيره الضرورية المحددة، التي لا تقتصر على تكوينه فقط، بل تشمل أيضًا مفرداته، ونحوه، وأشكاله البلاغية،

وأدواته الفنية التصويرية»[33]. وبناء عليه، فإن أسلوب اللغة التي يبنى عليها النص سيكون متوافقًا مع هذا التحديد، وهذا ما يحفز على استنباط نظرية للسرد من القصة القرآنية، في نموذج يوسف أو على مجمل مساحة النص القرآني.

وبعد هذه العتبة النصية المهيئة للمتلقي بمتابعة نص سردي، التي لا نجد لها نظائر كثيرة في القرآن تبتدئ مباشرة بالقص بمثل هذا التمهيد[34] تأتي المقدمة الثالثة، وهي: عرض الموضوع الرئيس للقصة، وهو الرؤيا -وأقصد بالموضوع: المحور الذي يتركز حوله السرد، وليس الموضوع القيمي أو المعلوماتي- والإشارة إلى بعض الشخصيات الرئيسة في القصة:﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾. ثم توجيه القراءة في المقدمة الرابعة: بأنَّ القصَّ ليس للمتعة فقط، بل هو ﴿ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ وفي هذه المقدمة النصية: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ إشارة لافتة إلى وجود صراع بين الجماعة الذين يتلقون النص الإطار (القرآن) أو النص المتعلق بالقصة، فضلا عما يستشف من وجود صراع بين مجتمع القصة: يوسف وإخوته. وفي هذه المقدمة -أيضا- توضيح موجز للغرض السردي، وتشويق للمتلقي، وتنبيهٌ له أن لا يلتفت إلى الحكاية وقصتها دون الالتفات إلى الآيات والعبر. كما توضح هذه العتبة/ المقدمة ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ إحدى وظائف السرد من جهة المتلقي، وهي -أيضًا- تتناسب مع آخر سورة هود، ففيها:﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. على أنَّ القرآن قد وضح وظائف للقصص في أكثر من موضع بحسب السياق السردي والموضوعي الذي يرد فيه حكاية القصة. وفي هذه المقدمة تنبيهٌ إلى أن يجتهد المتلقي في أن يرتفع بوعيه، وتصريحٌ بأنَّ سرد هذه القصة ليس لاكتشاف حقيقة الإنسان -فقط- من خلال وصف نموذج بشري؛ بل رفع هذه الحقائق إلى حيز الوعي ومن ثم تمكين الناس من رؤية ذواتهم والاستفادة من تجاربهم[35]، وهذا يتضح من خلال تحليل الشخوص والأحداث واللغة

الواصفة ولغة الشخوص. وليس هذا موضع التفصيل لكل ذلك؛ بسبب محدودية المساحة المتاحة.

ثم يبتدئ القص بالعتبة السردية الأساسية، وهي التعريف بالشخصيات الرئيسية التي ستتمحور حولها القصة، وهي شخصية يوسف وأبيه وإخوانه، وفي سياق ذلك يكون التعريف بالبيئة المكانية الخاصة بهذه الشخصيات التي تتمحور حول إحداها أحداث القصة، بما يفهم من السياق، وهو منزل العائل الرئيس للأسرة، من حيث اجتماع الأسرة في مكان واحد، بما يمكن المراقب من أن يكتشف دقائق التصرفات والنظرات والمعاملة. والتعريف بالجو الثقافي العام، بالتصريح بالحدث الرئيس وهو الرؤيا. وهذه العتبة السردية هي إحدى المقدمات النصية، وهذا التداخل الوظيفي يجعل نصوص المقدمات والعتبات متماهيًا مع النص السردي. من هنا يمكن القول: إن «عتبة الإشارات والتنويهات هي عتبة ذات أهمية بالغة في تسليح القارئ بمعطيات قد تساعده في فعالية تلقي المتن الروائي على النحو الذي يقوده إلى النظر إليها، على أن لها وظائف سياقية لا يمكن إهمالها»[36]. كما أن هذه المقدمات في سورة يوسف «كشفت عن دورٍ متميز أداه المشهد الافتتاحي للقصة، وتجاوز من خلاله الدور التقليدي الذي يتوقف عند التعريف بالجو العام، أو تقديم بعض الشخصيات إلى مسرح الأحداث، تجاوز هذا الدور إلى أداء دور رئيسي اختصر من خلاله كل الوقائع، وأجمل كل الأحداث، بحيث بدت الوقائع والأحداث إثر ذلك وكأنها مجرد تفصيلات للإجمال الماثل في المقدمة»[37].

ولهذه المقدمات وظائف، أهمها[38]:

- وظيفة تعريفية، تهتم بتعريف المتلقي بالنص، وغرضه، وتعرفه بأعلام الشخوص حسب المقام، أو جنسهم، وبعض صفاتهم وعلاماتهم ووظائفهم. وهذه الوظيفة تهيئ المتلقي لاستقبال عناصر السرد، والتعامل معها، وفقاً لبيئتها الزمانية والمكانية، وعناصرها. والملاحظ أن هذه العتبات النصية، والعتبة السردية التعريفية بالشخوص، قد جعلت الشخصية الرئيسة مصرحًا بها منذ البداية، وموحية بما ستتعرض له من المكائد والمتاعب من المقربين. من خلال التصريح باسمه في

قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ثم من مضمون العبارة الاستباقية في قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ...﴾ ضمن سياق العتبات النصية المهيئة للسرد.

- وظيفة استهلالية، يكون عبرها افتتاح السرد وإزاحة الستار عن لقطات العمل السردي ومشاهده.

- وظيفة تشويقية. تتكون من الوظيفتين السابقتين، من حيث إنها إعلام بالرغبة في السرد وابتدائه، وهذا أمر بالغ الحيوية، إذ يضمن متابعة قصصية يقظة ومتحمسة، وتجعل المتلقي مشاركًا في عملية السرد، باستماعه وتفاعله؛ لأن السرد -وهو هنا شفهي لحظة التنزيل- إذا فقد الرغبة في الاستماع إليه فلا معنى له. ويمتاز القصص القرآني في هذا بأن مقدماته وتعليقاته ليست للإيهام بواقعية القص وأحداثه، لأنها واقعية حقيقية.

وقد تختزل هذه المقدمات في النص الأدبي/القصصي، المتن -الأدبي- ونتائجه وأغراضه الأدبية في جمل يسيرة مكثفة. وهو ما نجده في قوله: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ...﴾ إلى قوله وتعالى... ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ ويترتب على ما يقدمه السارد في هذا الموضع من النص بناء صورة عامة لعناصر السرد -خصوصاً الشخصيات- والمكان وابتداء الحدث، كما يترتب على ما قدمه السارد من وصف للشخصيات أن يكون له أثر في تحقيق جمالية العمل السردي بتحقق الانسجام بين وصف السارد ولغة الشخصيات أو أفعالها، أو بتحقق المفاجأة بتغير النتيجة عما كان يُتَوقَّع لها.

ولعل في هذه المقدمات في سورة يوسف مجمل عناصر الظاهرة الأدبية، وتتمثل تلك العناصر في: (1) الإطار العام للنص: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا﴾ ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ (2) والنوع الأدبي: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ

ٱلْقَصَصِ﴾ (3) اللغة: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ (4) الإبداع المتحدي والإبداع الموجه: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿...وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾. (5) فضلا عن المرسل القصدي: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا﴾ ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ، بِمَآ أَوْحَيْنَآ﴾. (6) المتلقي المخصوص المفترض بخصوصية مناسبة نزول القصة، أو المتلقي المفترض العام بعموم الخطاب القرآني لجميع الأمم. (7) والعناية بالمتلقي بتوجيهه وتهيئته لتلقي نصٍّ من نوعٍ ما. وهذا التوجيه وهذه التهيئة لا يتعارضان مع حرية التلقي وإطلاق القوة التخيلية لديه، فالتوجيه كان عامًّا وميسرًا: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ إنه توجيه التحفيز، وليس لتقييد المخاطَب عمومًا، وهو المفهوم من قوله:﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾. أيًّا كانوا، أو المخاطَب المخصوص بسبب نزول السورة.

ونلحظ أن هذه المقدمات متداخلة وملتحمة تمامًا مع المتن السردي، لاسيما أنه قد أفصح عن الشخصية الرئيسة والموضوع ضمن المقدمات وتوجيه المتلقي كذلك، كما كان الاستباق ضمن المقدمات أيضًا. مما يجعل المقدمات جزءًا من المشهد في قوله: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾، ومن ثم فالمقدمة -هنا- لا تمهد للأحداث أو لحدث منها؛ بل تضع المتلقي في بداية أحداث القصة وإشكالاتها، ومن ثم فإنها تعد جزءًا من بنية القصة. وهذا الالتحام نجده في التعقيبات والتذييلات، إذ لا تظهر على أنها لحظة توقف عن السرد -وإن كانت كذلك من الناحية التقنية للسرد- لكنها تظهر مندمجة ومتساوقة مع النص السردي وحركته، حتى كأنها جزء منه.

وهذه والعتبات -في نظر الباحث- صورة للاستباق؛ كونها تنقل القارئ الذي لا يعلم شيئًا عما سيتلقاه إلى جو النص أو نوعه، وتقدم له بعض النتائج والعناصر، إلا أن هذا الاستباق لا يتعلق بزمن القصة الخطي أو السردي، بل يتعلق بزمن فهم المتلقي للنص/للقصة، وبناء أفق توقع عنها. ومن ثم تختلف البنية الزمنية للاستباق الموضوعي في المقدمات والعتبات عن الاستباق الزمني السردي الذي قد يؤدي إلى إعادة ترتيب الزمن.

وتترابط مقدمات السورة مع نهاياتها، فكما كانت الرؤيا هي الحدث المؤسس والمفتتح للقصة، فقد كان تأويلها هو نهاية القصة، كما ينتهي النص المؤطر للقصة وهو السورة بما افتتحت به من التأكيد على مصدر القص، ومصداقيته ومناسبته الإعجازية في مواجهة تعنت المتلقين حينئذ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ ذلك القصص الذي مضى في السياق من الغيب الذي لا تعلمه؛ لكننا نوحيه إليك، وآية وحيه أنه كان غيباً بالقياس إليك. وما كنت معهم إذ اجتمعوا واتفق رأيهم، وهم يمكرون ذلك المكر الذي تحدثت عنه القصة في مواضعه. وهم يمكرون بيوسف، وهم يمكرون بأبيهم، وهم يدبرون أمرهم بعد أخذ أخيه، وقد خلصوا نجيًّا، وهو من المكر بمعنى التدبير. وكذلك ما كان هناك من مكر بيوسف من ناحية النسوة ومن ناحية رجال الحاشية وهم يودعونه السجن، كل ذلك مكر ما كنت حاضره لتحكي عنه، إنما هو الوحي الذي سيقت السورة لتثبته من بين ما تثبت من قضايا هذه العقيدة وهذا الدين، وهي متناثرة في مشاهد القصة الكثيرة»[39].

وبعد آيات التعقيب والتهذيب التي يمكن أن يستنبط منها اختلاف طبيعة المتلقين مع النصوص ومدى إفادتهم من تجاربها؛ تتوافق خاتمة السورة مع بدايتها ومع خاتمة سورة هود: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. وفي الآية إشارة إلى أن القصة تتضمن رؤية للحياة:﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ وإشارة إلى تضمن أسلوب القصة ما ينبغي أن يتضمنه أسلوب القص. وقد سبق في مطلع السورة قول الله تعالى لنبيه:﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ فها هو ذا يعقب على القصة بعد تمامها، ويعطف ختامها على مطلعها: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ

شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾. وهكذا يتوافق المطلع والختام في السورة، كما توافق المطلع والختام في القصة. وتجيء التعقيبات في أول القصة وآخرها، وفي أثنائها، متناسقة مع موضوع القصة، وطريقة أدائها، وعباراتها كذلك. فتحقق الهدف الديني، والسمات الفنية كاملة، مع صدق الرواية، ومطابقة الواقع في الموضوع. وقد بدأت القصة وانتهت في سورة واحدة؛ لأن طبيعتها تستلزم هذا اللون من الأداء، فهي رؤيا تتحقق رويداً رويداً، ويوماً بعد يوم، ومرحلة بعد مرحلة»[40]. إنها رؤيا ورؤية.

ثانيًا: عرض السارد:

يعمل السارد من خلال تكنيكات السرد واستغلاله لإمكانياته اللغوية والتعبيرية على انتقاء المادة المسرودة وعرضها بما يحقق أغراض السرد ووظائفه، وهنا لا نتحدث عن صنعة بشرية بل عن انتقاء إلهي. ومن استقراء النص يمكن الخلوص إلى بعض التكنيكات السردية التي أسهمت في إبراز الشخصية الرئيسة في القصة على النحو الآتي:

1- **التصريح مقابل التلميح:** من الملاحظ أن التعريف بالشخوص كان ببيان صفاتهم أو التلميح إليها. ولا نجد أي حضور سردي لأعلام أخرى في القصة، إذ وردت أسماء يعقوب وإسحاق وإبراهيم في موضعين؛ أحدهما في العبارة الاستباقية: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ﴾، والموضع الثاني على لسان يوسف في قوله: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ﴾، وفي الموضعين كان لحضور أسماء الأعلام فاعلية، ففيها تتويجٌ وتشريفٌ لانتماء يوسف وعلو مقامه، وليس لعرض أحداث تخص تلك الشخوص، ومع أن شخصية يعقوب حاضرة، بوصفها شخصية في السرد، إلا أنه لم يُذكَر في السرد إلا بصفته: أَبَتِ.. أَبَانا.. أبي... أَبَوَيْه، أما اسم يوسف

فقد تكرر في «24» موضعًا في القصة، وعلى لسان أكثر من مصدر، أولها السارد العليم: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ... لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ﴾ ثم على ألسنة إخوته، وأبيه، والسجين الناجي، والملك.

2- **الحضور الدائم في مؤشرات نصية:** وهذا الحضور الدائم قد ربط تطور السرد ونمو العقدة بتطور شخصية يوسف السردية والواقعية، فهو حاضر متأثر أو مؤثر في كل مرحلة من مراحل القصة ومجرياتها، لاسيما نقاط التأزم المفصلية. فهي شخصية امتدادية متطورة ديناميكية. ويمكن أن نجد مؤشرات لفظية، ودلائل نصية تعبر عن هذا الحضور والنمو للشخصية، وذلك في حضور اسمه أكثر من«24» مرة. وحضور أقواله المنسوبة إليه بعد القول في «27» آية، وهو مقدار يتوازى مع حضور أقوال إخوته جميعًا. وحضوره الملفت بضمائر الغيبة، وضمير المخاطب، وضمير المتكلم. وتُظهر مقولات الشخصية الرئيسة -بصفة عامة- مدى تمكنها وحنكتها في التصرف، ولباقتها في التحاور.

3- **إنشاء نقاط التحول والتأزم وتفكيكها:** لاسيما وقد ارتبط تطور السرد وتأزم الأحداث بما تتعرض له هذه الشخصية من المواقف والأحداث والأزمات والحلول. وتنجلي نقاط التأزم وموقف الشخصية الرئيسة منها وتعاملها معها عن أبرز السمات القيادية التي تتحلى بها الشخصية، ومنها: أن شخصية البطل تتعرض للأزمات؛ فتكون في موقف الشدة، لكن هذه الشدة ستجابه بالقوة والشدة المضادة، كما أن البطل في تعرضه للأزمات يتعامل معها وفق المبادئ التي يؤمن بها، ووفق طبيعة المواقف بما لا يتعارض مع المبادئ، إذ إن السارد والمتلقي يراقبان مبادئ الشخوص وثباتها، ثم نتائج تلك المبادئ والثبات عليها، ومما يبعث على الإعجاب والمتعة، أيضًا، أن تتسم الشخصية بثبات مبادئها حتى وإن كانت النتيجة مأساوية في بعض منعطفات القصة.

من بداية السورة إلى الآية 53 يكمن النصف الأول من الأزمات التي يكون فيها يوسف في موضع الشخصية التي تقع عليها الأزمات، وتتعرض للمؤامرات والاختبارات المتكررة لنفسيته

ولإيمانه بمبادئه، وفي النصف الثاني من الآية 54 إلى الآية 100 تكون الأزمات منشأة أو معالجة بفعل شخصية البطل وتخطيطها، إذ نلاحظ أن الأحداث كانت تقع على شخصية البطل في النصف الأول من القصة، في حين أن النصف الثاني أصبح فيها البطل هو العنصر الفاعل الذي يصنع الأحداث ويخطط لها. ويأتي الحل من هذه الشخصية، في حين أن الأزمات تأتي من خارجها رغماً عنها، وتتجلى سمات الشخصية القيادية في أنها تتجاوز الأزمات رغم تعرضها لها، وأنها لا تسعى إلى الأزمات، وإنما إلى الحلول الفردية والعامة، كما أن تعامل يوسف مع الأزمات يظهر شخصيته القوية، وسماته البدنية والمعنوية والإدارية والقيادية. في حين يغفل السياق والنص الحديث عن سمات الشخصيات الأخرى، إلا بما يتناسب مع تقوية جانب الشخصية الرئيسة، وبما يتوافق مع الغرض السردي من القصة، وهو الاتعاظ والاعتبار دون إغفال الإمتاع.

نلاحظ، أيضًا، أن الأزمات ونقاط التحول كانت تُحَل أو تنتهي بتطور السرد من خلال تأزم الموقف بعقدة جديدة، فبعد المكيدة والجب يأتي السيارة ليبيعوه... إلخ، ثم تنفرج العقدة ليسدل الستار على شخصيات القصة، ولم يبق منها إلا يعقوب وأبناؤه، ففي البداية أسدل الستار ليكون يوسف في قبضة السيارة، وينتهي دور إخوته بمجيئهم عشاء يبكون. ولا يذكر السارد ما حدث بعد ذلك؛ ليصطحب يوسف شخوصٌ جدد في القافلة، وذكر السوق لينتقل إلى أزمة جديدة هي العبودية، وإن كان تأزمًّا فيه نوع من الانفراج بالنسبة إلى المتلقي، إذ انتقل هذا الغلام إلى بيت يكون فيه معززًا مكرمًا بل في مقام الولد. ينفرج هذا التأزم بتأزم آخر خطير يفضي به إلى السجن، بعد أن ظهرت نجابته وتوقَّعَ المتلقي انفراجًا حقيقيًّا، وأقصد به أن يُعتَرف به ولدًا لهما، أو أن تسند إليه وظيفة نافعة، أو أن يتزوج... إلخ.

وينتهي حضور شخصيات العزيز، والشاهد، والنسوة إلى حين. ثم يظهر في السجن شخوص جدد؛ ليسدل الستار على مكوثه في السجن؛ ليأتي الانفراج عن طريق التمكن العلمي والبراءة الاجتماعية والسلوكية. وبهذا يسدل الستار على كل تلك الشخوص؛ لتتجه الأحداث نحو التركيز في السرد على الطرف الأول في القصة، وهم يعقوب وإخوة يوسف. ثم يسدل الستار على

شخصية يوسف فقط في الآية رقم 100 إلى مشهد ختامي يسدل فيه الستار على يوسف مختليًا بربه يناجيه، معتزلًا الحضور، وكأن تلك الشخصيات قد أصبحت، سينمائيًّا، في منطقة الظل الشديد أو الظلام؛ ليبقى هو في منطقة الضوء الدافئ الناعم. لينتهي السرد نهاية مقنعة مؤثرة.

4- **ارتباطه بالحدث المؤسس للقصة، وهو هنا الرؤيا:** فمع أنَّ حدث الرؤيا مؤسس للقصة بأكملها، ومسببٌ رئيس للأحداث جميعاً منذ بداية السورة: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا...﴾ حتى اكتمال تأويلها في قوله تعالى:﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ...﴾. كما ارتبط التمكين ليوسف بتأويل الأحاديث، عند دخوله قصر العزيز كما في قوله تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ وفي ذلك السياق يشير النص القرآني إلى أن الله يعلِّمه من تأويل الأحاديث، ومع ذلك لم تظهر أي بادرة تدل على ذلك. وهو ما جعل الرؤيا التي تحيط بالنص تبدو بؤرته المحورية التي كان يوسف مرتبطا بها وعنصراً فاعلاً فيها[41].

وتعزيزًا للأحداث -باعتبار أن الرؤيا- هي الأداة العلمية السائدة لاكتشاف نوابغ المستقبل في إدارة البلاد وقيادة مناصب الدولة[42]، فقد عزز السرد مهارة التأويل بسياق جديد، وأحداث جديدة تتصل بالرؤيا، وهي رؤيا السجينين ثم رؤيا الملك. إن الإيمان السابق بالرؤيا في الزمن الميت[43] سمح بتفسير انسيابية وانسجام تحول الملك إلى يوسف وائتمانه على أقوات الدولة وشعبها؛ لأنه الوحيد الذي عبر الرؤيا، فكان جواب الملك:﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ وهذا الطلب هيأ ليوسف أن ينتقل من طور السجين، ومن طور من له علم بتأويل الرؤيا، إلى دور النابغ المطلق فيها، فقد بزَّ نظراءه في التأويل، وفاق أهل تلك الثقافة التي تمثل لهم الرؤيا جزءًا أساسيًّا من معارفهم الأولية وثقافتهم الأساسية. وبعد أن اجتاز اختبارًا ملكيًّا

تمثَّل في التفوق في علم الرؤيا، وفي كلامه العقلاني والمنطقي والمبين: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، ثم اختبار ولايته في حياة الملك[44] إذ يظهر يوسف بعدها وقد تولى قيادة البلد، أو صار إليه تصريف شئونه وشئون معاشه، بإتقان المعارف اللازمة.

5- **ارتباط مشاهد العاقبة والمصائر بشخصية البطل**: وهو ما يظهر في أواخر في المقدمات بالإفصاح عن الاجتباء، وفي التعبير بالتمكين مع دخوله قصر العزيز، ثم التمكين في إسناد أمر الخزائن إليه، وفي مجريات الأحداث مع إخوته بعد وصولهم إلى مصر لجلب الطعام لأهلهم.

6- **الحضور الفاعل في المشاهد الحوارية:** يتمثل المشهد في: «المقاطع الحوارية التي تأتي في تضاعيف السرد، وهي تبطئ حركة السرد حتى يكاد يتطابق زمن السرد مع زمن الحكاية، وهو يطيل الفترات الزمنية القصيرة في السرد لأنه يعرض الأحداث بتفصيل وتأنٍ، وينقل الحوار كما يحدث، ويرينا الشخصيات وهي تتحرك وتتكلم، وتفكر، وتتأمل، ومن ثم يتم إبطاء السرد، ويحدث نوع من التوازن بين زمن السرد وزمن الحكاية»[45]. وقد بدأت القصة بحوار موجز بين يوسف وأبيه كان بمثابة تهيئة للسرد، وبيان يكشف عن موضوع القصة والحدث الرئيس فيها والشخصية الرئيسية أيضًا. ونلحظ أن المشهد الحواري في كل مقطع يرسم صورة للشخوص المتحدثة المتكلمة في المشهد، ومن ثم فإن إيراد الحوار بعباراته كان لوظيفة تربوية وأدبية. وفي ذكر وصف ذلك المشهد أو ظرفه المكاني ما يتوافق مع طبيعة الحوار ونفسية المتحاورين، فعلى سبيل المثال، فقد كان مشهد التآمر من إخوته في المنزل، وكان مشهد التآمر من المرأة والنسوة في بيتها عامة، وفي المتكأ خاصة، وكانت تلك الحوارات قصيرة، في حين كان مشهد السجن مكتنفًا لجملة مطولة من الحوار بين يوسف والسجينين، تدل على ثباته ورباطة جأشه وعدم انهزامه. وكان مشهد القصر في حواره مع الملك قصيرًا، في حين أنه كان مطولًا نوعًا ما مع إخوته، وفيها جميعًا تظهر شخصية يوسف المتفاعلة بحكمة في مختلف الظروف التي تقع فيها. ونلحظ من المشاهد الحوارية والأحداث الفاعلة في نقاط التأزم إبراز ما

تتمتع به الشخصية الرئيسة من إتقان للمهارات الثقافية اللازمة: العلمية، والعملية، والسلوكية، والحوارية.

ثالثا. لغة الشخصيات

لعلنا نلحظ تنوع التعبيرات والاهتمامات والرؤى التي تتجلى في أقوال الشخصيات، وهي متنوعة بسبب تنوع الشخصيات وتعددها. وإذا كان «التعدد اللغوي من أبرز المظاهر التي تؤثث جنس الرواية، بسبب قدرته النفاذة على تغيير جملة من الحمولات الفكرية والإيديولوجية»[46] فإن ظهور التعدد اللغوي في القصة القرآنية ليس تعددًا صناعيًّا متخيلًا، بل هو تعدد ينتمي لحوادث لغوية طبيعية واقعية حدثت، ولن يكون نقلًا للأقوال بعاميتها، ولكنه ترجمة إلهية، ونقل أمين لأقوال الشخوص؛ على اعتبار أن الشخوص لم يكونوا يتكلمون العربية.

ويمكن الإمساك بملامح الشخصية في ضوء ما تقدمه العبارات الاستباقية والمقدمات، ثم في ضوء التفاعلات الحوارية والمقولات التي يتلفظ بها أطراف الحوار. وتعد الأقوال الصادرة عن الشخصية في مواقف مختلفة بمثابة تكوين تصور عن السيرة الذاتية للشخصية يدركها المتلقي. ومن ثم. فإن تتبع نمو الشخصية وتطورها، من خلال لغتها ومن خلال لغة السرد، يسمح بالنظر في اهتمامات الشخصية وخوالجها النفسية، وعلاقاتها بغيرها وبذاتها، كما أن بإمكان القارئ أن يستكشف مقومات الشخصية من حيث نمطها وطبيعتها. وتظهر المشاهد الحوارية طبيعة الشخصيات، وأبرز سماتها، وبعض تجليات الصراع. و«يحتل المتكلم –بخطابه اللغوي- دورًا مركزيًّا عند باختين في إكساب جنس الرواية خصوصية بالغة الأهمية، فالإنسان في الرواية هو، أساسًا، إنسان يتكلم، والرواية بحاجة إلى متكلمين يحملون إليها خطابها الأيديولوجي الأصيل، ولغتها الخاصة»[47].

1- **مقولات الشخوص المصاحبة:** مما يؤسس لمركزية الشخصية في القصة أن كل تعريف بالشخوص الأخرى كان مرتبطًا بالشخصية الرئيسة، وأن خروج الشخوص من المشاهد السردية، فضلًا عن وجودها، كان أيضًا مرتبطًا بما يضيء شخصية يوسف. ومن هنا يتجلى دور

الشخصيات المصاحبة في إبراز شخصية يوسف. إذ من وسائل جلاء نمط الشخصية الرئيسة أن تتكفل الشخصيات الأخرى، من خلال تعاملها ومحاورتها، بجلاء شخصية البطل. وقد اعتمدت القصة على أن تكون الشخصيات الأخرى هي من يقحم الشخصية الرئيسة في الأحداث، ولم تتحول هذه الشخصية إلى الفاعلة واصطناع الحدث إلا في المرحلة الأخيرة، وهي مرحلة التمكين النهائي. وقد لاحظنا أن الشخصيات تظهر بالتدرج ففي كل استباق يتطور السرد بدخول شخصيات جديدة يتم التعريف بها حسب الحاجة، ففي الاستباق الأول[48] ذكرت شخصيات الأب، وإخوة يوسف، وأخوه. وفي الاستباق الثاني[49] ذكرت شخصيات: العزيز وامرأته، والشاهد، والنسوة، والسجينين، والملك وملئه.

وقد تكفلت الشخصيات المصاحبة بإبراز شخصية يوسف، باعتباره شخصية محورية ومتميزة، بدءًا من قول إخوانه: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ...﴾ فهي المواجهة بين الفرد والعصبة، ثم قولهم في مرحلة من مراحل القصة: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وانتهاءً بقولهم في المرحلة الأخيرة من القصة: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ ثم قول السيارة: ﴿يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗ﴾ فلم يذكر من حديث السيارة إلا ما يتعلق بتصرفهم مع يوسف، وهذا يبقي الشخصية المحورية في دائرة الضوء، تمهيدًا لانتقالها إلى محيطين: مكاني وثقافي جديدين يعبر عنهما القرآن بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ...﴾، و قوله: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِ﴾ وكان هذا القول منه بعد أن كانت شهادة رجل من أهلها في جانب يوسف وبراءته: ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ

ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ...﴾، وتقول عنه امرأة العزيز في وصف يدل على قوته: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾ وتقول متهكمة بمن لامها على تصرفها: ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمتُنَّنِي فِيهِۖ﴾ وتقول عنه النسوة: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٞ﴾ ويقول عنه السجينان: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ويقول عنه الملك: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ ويقول أيضاً ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾. إنهم يعبرون عن يوسف كما يدركونه لا كما يرونه، وفي هذا ما فيه من البلاغة، ومن ثم اختلفت الرؤى والعبارات، وإن كانت متحدة في أنها تبرز شخصية يوسف المميزة عن باقي المحيط: ﴿قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌۚ﴾ إنهم يرونه منافسًا ومزيحًا لهم، قويًّا رغم ضعفه وقوتهم. ورأته النسوة فقلن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٞ﴾. فكان جواب امرأة العزيز: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمتُنَّنِي فِيهِۖ﴾. وتعامل معه السجينان فقالا: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾. ولعل في قول السجينين: إنا نراك من المحسنين، إشارة مبطنة و رسالة ضمنية تستغرب أن يُسجَن مثل هذا، فأجابهم بما أجابهم. ولم يُصرّح النص أنه كشف عن سبب سجنه، ولكن في قوله: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ ما يشير إلى أن العلاقة بينهم كانت جيدة. وحاوره الملك فقال: ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾.

وهنا نلاحظ أن الذين كانوا سببًا في المكر والكيد بيوسف كانوا هم من يتكفل بجلاء شخصيته، بوصفه شخصية مميزة، وهذا ما نلاحظه؛ إذ تتكفل شخصيات إخوته، و امرأة العزيز والنسوة بالمكر والكيد، ثم تتكفل الشخصيات نفسها في موقف مغاير بإبرازه؛ بوصفه شخصية نزيهة بريئة، أي أن التناقض يحدث عند تلك الشخصيات المصاحبة، ويظهر الثبات والصبر عند

الشخصية الرئيسة. ومن تفاعل الشخصية في المواقف المختلفة تتبدى سمات الشخصية الرئيسة، مقابل سمات الشخصيات الثانوية التي لا يستهان بها، لكن التميز يبقى من نصيب يوسف.

2- **مقولات الشخصية الرئيسة:** اتصلت المشاهد الحوارية كلها بشخصية يوسف بصورةٍ ما، وفي هذا امتداد للشخصية في كل نقلة وحدث وتطور سردي. وتتوافق البنية اللغوية للمشاهد الحوارية وحبكة النص في إضفاء المركزية على شخصية يوسف، فهذه الشخصية «تؤدي دورًا متفردًا في مجال الرؤى سواء أكان منتجًا أم مفسرًا لها»[50]. وتقوم بنية العبارة على خصوصية انتقاء التعبير، شأنها شأن اللغة الأدبية في خضوعها لمبدأ الاختيار والتوزيع، وتسمح عبقريتها بالعدول عن الاستعمال المألوف للنمط التعبيري، وبانزياح الألفاظ عن دلالتها المتواضع عليها؛ تبعًا لمقتضيات السياق؛ مما يفجر طاقات اللغة الكامنة، وبذلك يتحول الخطاب من سياقه الإبلاغي والإخباري؛ ليكتسب وظيفة تأثيرية جمالية[51].

وإذا كانت مقولات الشخوص المصاحبة قد عملت على تدعيم وإبراز تميز الشخصية الرئيسة، فإن في مقولات الشخصية في المواقف المختلفة ما ينبئ عن هذه الشخصية وسماتها، فنجد أن شخصية يوسف كانت تتسم بالكياسة واللباقة والتمكن من الحجاج والمحاورة حسب الظرف الاتصالي والبيئي والتطور الزمني لعمر الشخصية، وقد عبر عنه القرآن بقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ والعلم والحكمة والإحسان مما يظهر في الأقوال والأفعال. ومن ذلك أنه لم يجادل العزيز، كما أنه لم يجادل النسوة، بل التجأ إلى الله. كما تظهر شخصيته المتزنة القوية في حدث المراودة، ويتمظهر لغويًّا في سرد الحدث بالاسم الموصول في وصف حدث المراودة: ﴿ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾ إذ لو كانت العبارة: وراودت المرأة يوسف لفُهِمَ أنها راودته وراودت غيره... ومن قراءة هذه المقولات ومقاماتها وسياقاتها ومقام الشخصية في كل موقف يمكن أن نلحظ أبرز المبادئ الحوارية التي تستخلص من لغة يوسف.

ونجد أن أطول مشهد حواري كان ليوسف مع السجينين. وفيه تظهر قدرته الحوارية، وقوته الحجاجية، وكياسته في التعبير في حديثه مع السجينين. و«الحجاج هو توجيه خطاب إلى متلقٍ ما؛ لأجل تعديل رأيه أو سلوكه، أو هما معا، وهو لا يقوم إلا بالكلام المتألف من معجم اللغة الطبيعية»[52]. ولتلك اللباقة مظاهر نصية، منها: أنه طمأنهما بأنه سيفتيهما. ثم تلطف في توضيح ما هم عليه من الدين، ثم تلطف في تعليل ما أوتي من العلم، ثم تلطف في إخبارهما بتأويل رؤياهما، وفي حوارية حية بين يوسف والسجينين يظهر النص الطرف الخاص بيوسف، ويضمر اندهاش السجينين مما يسمعان من الخطاب، أو تساؤلاتهما، عبر جمل الفصل والوصل التي تخلو من الفعل «قال»، فهو حوار مضمر، إذ تظهر فيه مقولات طرف واحد وتضمر أقوال أو ردة فعل الطرف الآخر: ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾. ويبدو في طريقة تناول يوسف للحديث لطف مدخله إلى النفوس، وكياسته وتنقله في الحديث في رفق لطيف. وهي سمة هذه الشخصية البارزة في القصة بطولها[53].

ويمكن بوساطة تحليل نصوص المحاورة، من حيث الأسلوب واللغة، أن ندرك بلاغة هذا المقطع الحواري المطول مع السجينين ومدى أهميته، ومن ثم فسيكون أنموذجًا للغة الشخصية الرئيسة، ومن هنا يمكن استقراء جملة من مبادئ الحوار ولباقة التعبير، من خلال حواره مع السجينين في الآتي:

أ- **إنشاء العقد الاتصالي**: فقد بدأ بإنشاء العقد الاتصالي وتوثيقه بتطمينهما أن حاجتهما عنده في قوله: ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَا﴾.

كما أنه لم يشترط تقديم النفع قبل تقديم العلم. وهذا من ملامح نجاحه في توثيق العقد الاتصالي.

ب- **التدرج في إيصال الفكرة**: إذ تدرج في التلميح ببطلان ما هم عليه وقومهم، وأغراهم بما هو عليه من القيم في قوله: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾.

ج- **بلاغة التعبير وإيجازه ونباهة المحاور**: إذ تتوالى العبارات بأسلوب الفصل بدون لفظ القول بعد قوله: ﴿لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ﴾ وكأن المقول هنا ليس مما يهم السرد، بل مما يهم الشخصية، ومن ثم المتلقي، فالملاحظ أن العبارات التي ابتدأت بعد القول هي عبارات بأسلوب الفصل، ولكن على نمط الفصل في القصص والتحاور، أما هنا فإما أن السجينين لم يحاورا، واكتفيا بالسؤال، وكان يوسف، هو من استغل الفرصة لبيان دعوته، وإما أنهما حاوراه بما يُفهم من كلام يوسف على أنه جواب عن سؤال مقدر، أو بيان لإزالة دهشة اعترتهما وظهرت أماراتها على وجههما وفي عينيهما، فالعبارات كانت بمثابة تعليل، ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾. فقد أجابهما بداية القول بعد لفظ (قال): ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾ أي أنه أجابهما مباشرة، ولما كان قوله قولَ الواثق من علمه فمن أين وكيف؟ وهنا جاءت إجابته عن حوار مسكوت عنه، أو حوار صامت ظهرت آثاره عليهما، فحين يأتي الحوار مفصولا بدون اصطحاب لفظ: «قال» «فقد توخى المتلفظ [وهنا التوخي هو من الله سبحانه] أسلوب الحذف، حذف الفعل (قال). وهذا الاقتضاب أو الحذف أو الإضمار، -إن شئنا- فراغ أو صمت قائم في الخطاب نفسه، من شأنه أن يضفي على الجملة دلالة مقدرة مضمرة في حيز ما يسمى: القابل للوقوع. والصمت إنما

يكون على الأرجح لحظة تعطل اللغة، أو في قصورها عن قول ما لا يقال، فإذا لم يكن كذلك فهو اختياري ينشد المتكلم أو المتلفظ مقاصد؛ قد يكون منها اجتذاب المخاطب، أو استمالته وفتنته»[54]، أي أن صمت السجينين إنما كان صمتًا اندهاشيًّا أو تفكريًّا، أو أن كلام يوسف كان جوابًا عن سؤال تلفظوا به، أو سؤال مقدر يفصل بينها رآه في أعينهم، فإن كانا تلفظا به فقد حُذِفَ لوجود ما يدل عليه في كلام يوسف، وإن لم يكونا تلفظا به فهو من نباهة يوسف وملاحظته لما يدور في أذهانهم. إذ يقول: «ذلكما مما علمني ربي» وبدأ بإسناد الفضل لربه، ثم فصَّل القول موضحًا مَنْ هو ربه في صورة إغراء لهما بأنه قد يحصل لهما من هذا الفضل من العلم إن اتبعاه، فقال:﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، وهكذا إلى آخر مشهد الحوار مع السجينين في تتابع العبارات.

د- **تنويع مصادر الاحتجاج**: وبعد توثيق العقد الاتصالي، وربما بعد جملة من القول والحوار، أوصلهم عن طريق العقل إلى التفكير فيما هما عليه وقومهما بعد أن أخبرهما عن طريق التجربة الشخصية، والإحالة التاريخية إلى أبويه: إبراهيم، وإسحاق.

هـ الوصول/ التوصل بالمخاطَب إلى استنباط الفكرة المقصودة من الخطاب الحجاجي

فقد انتقل إلى مخاطبة العقل ليقوما هما بالتفكير، وكأن الآية فيها جملة من أساليب الحجاج والمحاورة وصولا إلى أن يقوم الشخص المقصود بالحجاج بالتفكير الذاتي؛ للوصول إلى فكرة الإقناع. فقال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

و- **مراعاة أحوال المخاطبين**: إذ يُبين لهما جواب ما ابتدآ بالسؤال عنه: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا...﴾. في لباقة ولطف؛ ذلك أنه لم يشر إلى كل سجين على حدة، مع علمه بصاحبيه، ومن صاحب كل رؤيا.

ز- عدم إشعار المخاطب بأن الحوار يسير لغرض مصلحة شخصية أو إثبات تفوق شخصي فقط: فهو لم يقدم طلبه بتذكير الملك بأمره إلا بعد أن قدَّم علمه، و عرض دعوته، فلا يكون طلبه شرطًا لتقديم العلم ولا إكراها على أخذ ما جاءهم به من قول في التدين والحاكمية. ولم يشترط يوسف على السجين المأمولة نجاته أن يقدِّمَ له النفع قبل أن يقدم له العلم، بل وعظه، ثم قدم له ولصاحبه إجابة شافية عما سألاه عنه، ثم طلب منه أن يذكره عند ربه، ويتكرر الموقف مع رؤيا الملك، فإنه لم يقدم اشتراطه أن يُفرَجَ عنه مقابل التأويل، بل قدم العلم فقط، ثم جاء الطلب من الملك، وهنا يحدث تطور في شخصية يوسف، إذ لم يعد ذلك السجين الحريص على خروجه فقط، بل إنه قال لرسول الملك: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ...﴾. لم يذكر النص أن يوسف قد قدم قرابين امتنانه للملك، أو لومه وعتابه للنسوة أو للمرأة. بل قدَّم رؤيته مجددًا للملك، كما يوحي قوله تعالى واصفًا ذلك:﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ وفي قوله: "فلما كلمه"، إطلاق للقوة التخيلية لدى المتلقي؛ ليتأول ويبحث ويتساءل ما الكلام الذي كان بينهما.

ملامح الشخصية الرئيسة:

تُظهِر مقولات الشخصيات وتصرفاتها ما تتمتع به من سمات يمكن استخلاصها، ومن هنا سنعرض أبرز ملامح الشخصية الرئيسة وسماتها. ضمن نمط لغة العلم؛ إذ يمكن تصنيف الشخصيات ولغتها في القصة إلى: لغة المكر والغيرة (إخوة يوسف)، ولغة الدهاء والكيد (امرأة العزيز والنسوة)، ولغة العاطفة (يعقوب)، ولغة العلم (يوسف). وقد أظهرت المواقف واللغة جملة من السمات التي تتمتع بها الشخصية الرئيسة، وأبرزت خصائص القيادة الرشيدة، على النحو الآتي:

أولًا: سمات الشخصية الرئيسة

1- **التعامل مع الموقف بحنكة وقوة شخصية**: وتظهر حنكة يوسف وقوة شخصيته في أكثر من موقف، إلا أنها في موقف خروجه من السجن كانت أشد وضوحًا، فقد تغيرت اهتماماته، ولم يعد مهتمًا بالخروج وحسب، بل مهتماً بالخروج المشرف المتطور، إنه لا يريد العودة إلى القصر مملوكًا كما هو حاله في الحقيقة، بل يريد أن يخرج شخصًا آخر قدر الإمكان، مبعدًا عن الغمز واللمز، والتذكير بتمنن الملك أنه أفرج عنه؛ ولذا لم يتهافت على مقابلة الملك ولا على الخروج من السجن، مع أن الأمر الملكي كان قد صدر بأن يؤتى به، ولم يقل أحضروه، وفي هذا إشارة بليغة إلى أن أمر الملك كان فيه إفراج واحترام لعلمه وتمكنه، وليس إحضارًا ليرى مَنْ هذا السجين الذي يدعي علم التأويل، أو أنه تذكَّره وأراد أن يكرمه تعويضًا عن تركه في السجن بلا جريرة. وفي موقف تأويل رؤيا الملك نلحظ أن النص لم يشر إلى أو يوحِ بأن يوسف قد عاتب السجين أو سأله إن كان وفَّى بما وعد به أو لا، بل أجاب بعلمه عن رؤيا الملك بما يحمله التأويل من الدهشة والقلق مع كل عبارة لتنفرج مع قوله:﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ٤٩﴾. ولعل ساقي الملك كان يسأل: وماذا بعد؟ أو يتصرف مندهشًا بتصرفٍ ما. وهذا من إطلاق القوة التخيلية للمتلقي؛ ليتصرف وكأنه هو الساقي.

وهذا من نبل أخلاق يوسف ومن قوة شخصيته، أما نبله فلأنه لم يبخل بعلمه، ولم يشترط شرطًا قبل فتواه، وأما قوة شخصيته ففي نبله قوة شخصيته، وأيضًا في ترفُّعِه عن أن يسأل الساقي إن كان قد أخبر الملك بمظلوميته أو لا، ويؤكد هذا، أي أنه لم يسأل الساقي أنه قال لرسول الملك حين أرسل إليه يطلبه:﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ...سَبۡعٞ كما نلاحظ أنه لم يقل (ربي) أو (ربنا) -إن كان الملك يلقب بالرب- لقد تغيرت الظروف، وطالت المدة، وينبغي أن يخرج خروجًا بريئًا، مشهودًا. ومن قوة شخصيته ونبله أنه لم يعاتب النسوة في قوله، بل أوضح طبيعة النساء والمكر: ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ سَبۡعٞ. كما تظهر

شخصيته القوية والحكيمة في أنه لم يتهافت على الخروج من السجن قبل إثبات براءته؛ ليخرج عزيزا مكرما، غير ملموز ولا مغموز، ولا مشار إليه.

2- **التمكن من الثقافة السائدة:** تظهر المشاهد الحوارية كياسته ولباقته في الحديث، وتمكنه من إتقان السلوكيات الملكية في مقام التخاطب من خلال ما يضمره النص و ما يصرح به في آن واحد: في الحوار المضمر الذي تظهر نتيجته على لسان الملك في قوله: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾. فقد لخصت هذه العبارة مقطعًا حواريًّا تم بين الملك وبين يوسف، كانت نتيجته نيل الثقة واجتياز الاختبار الملكي، وقد أثبت الحوار المضمر رسم صورة مشرقة للشخصية الرئيسة دون استعراض للتفاصيل الدقيقة، وأتاح للمتلقي التخيل، إن أراد، وقد أغفلها النص؛ لأن النص لا يورد من التفاصيل إلا ما يتناسب مع فنية السرد والغرض منه. فتسيير أمور الدولة وشئونها ليس مما يمكن عرضه في لحظة حوارية. أما قوله: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾، وفي تأويله رؤيا الملك بتفصيل دقيق ففيه توكيد على تمكنه من علمه بالتأويل وصدق فتواه.

3- **قوة شخصية يوسف وحكمته:** تظهر قوة يوسف في مواقف تعرض لها، وهي قوة تتصل بأمانته، إلا أنها تظهر لغويًّا وسرديًّا في مشهد المراودة، وهو المملوك وهي المالكة، وهو امتحان عسير. وقد تكفلت لغة السرد والوصف بإظهار قوة شخصية يوسف من خلال التعبير بالاسم الموصول عن امرأة العزيز، وبإضافة الضمير إلى البيت، وهو بذلك يكون موضحًا لأمرين: قوة المرأة ومكانتها وسلطتها. وثبات يوسف وقوته المعنوية ومقاومته الإغراء. ويتكفل المشهد أيضًا بإبراز قوة شخصيته ومقاومته في الوصف: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَابَ﴾ و﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ...﴾ ثم في اجتماع النسوة في المتكأ وما فيه من الإغراء بتطمينه من أنه لن يلحقه أي عتاب أو أذى إن هو استجاب لهن، فإذا به يقول: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ﴾. ففيه

تقوية لقوة يوسف المعنوية، وإبراز لسمة مشرقة فيه، وهي ثباته على مبادئه التي يؤمن بها، وبهذا التدعيم لشخصية يوسف تبرز جلية خصوصيتها وثباتها وقوتها عند المتلقي وفي الواقع حتى عند امرأة العزيز، ومن ثم فقد وصلت به إلى مرحلة التهديد؛ لأنها قُهِرَت وغُلِبَت على أمرها وهي السيدة المطاعة التي لا تتوقع ذلك، كيف لا وهي المالكة التي تعشق مملوكها؟ ويوسف هو المملوك من الناحية الفعلية ولكنه هو المالك من الناحية المعنوية، فقد كان أرقى منها وكانت أدنى منه، فقد انهارت أمام رغبتها، وصمد وقاوم أمام قوتها وأمام رغبته أيضًا، فهو بشر. ونلاحظ هنا أن المقولات في مقام المراودة لم تكن كثيرة من جانب يوسف، بل تكفلت مقولات الشخصيات المصاحبة، وهي شخصيات المرأة، والنسوة، والشاهد، ولغة الوصف، كلها تكفلت بإبراز قوة شخصية يوسف، ولم يكن من يوسف إلا مقولتان: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ ومناجاته لربه: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ فهو الآن في موقف التضحية، و يعيش نمط التضحية.

ومن قوة شخصيته أنه التزم بمبادئه التي يؤمن بها، رغم أنها قد سببت له المتاعب، وأنه حافظ على ثقافته رغم اختلاطه بتلك البيئة المغايرة لثقافته. في قوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾، وقوله: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾، وقوله في الحوار والاحتجاج: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ﴾، وهذه الأقوال في مواقف الشخصية في النصف الأول من القصة وهو في نمط المأمور. وفي قوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ وقوله: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾، وقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ وفيها يتضح مدى التزامه بالمبادئ وهو في موقف الشخصية الآمرة الفاعلة.

إذن فقد كانت الشخصية الرئيسة تتفاعل مع الموقف في ضوء ثقافتها ومبادئها الذاتية التي تلتزم بها في نفسها أساسًا من قيم واتجاهات ومبادئ وأصول راسخة[55]. ورغم أن مبادئ

الشخصية الرئيسة قد سببت لها بعض المتاعب إلا أنها في النهاية أفضت إلى نهاية سعيدة، ومفرحة، ومقنعة للمتلقي، ومتناسبة مع المبادئ والإيمان بها، ومع النهايات المقنعة لسير الأحداث.

4- **كياسته وبلاغته في التعبير:** ذكر في موضع سابق مدى كياسته في محاورته السجينين، ونشير هنا إلى طرف مما يتصل ببلاغته. أما التعبير فإنه لم يخف حديث الرؤيا عن أبيه، ثم التزم أمر أبيه ولم يخبر إخوته بها. ومن كياسته في التعبير قوله لامرأة العزيز: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ﴾ فهو تذكير لنفسه ولها بمبدأ الأمانة والوفاء، كما أنه تعبير ينبع عن إيمان بالمبدأ. ومن كياسته في التعبير ولباقته وبلاغته: قوله في حادثة الصواع: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾، فلم يتهم أخاه بالسرقة، ولم ينف وقوع حادثة اختفاء الصواع. كما تفاعلت شخصية يوسف مع الموقف وفق متطلبات الموقف، ولكن بتوظيف قيمها كما في قوله: «أنتم شر مكانا» فقد أخفى انزعاجه من قول إخوته، وتجاوز الماضي بما فيه، ومثل قوله: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ﴾. وقوله: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، وقوله لإخوته بعد الحوار المضمر الذي يدل عليه السياق: ﴿ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ﴾ وهذا التنوع في التعامل الموقفي من الشخصية فيه واقعية للأشخاص وللمواقف وللتفاعلات، وتربية للمتلقي.

وتختلف لغة الشخصية الرئيسة باختلاف مقامها، ففي مقام الخازن ومصرف الطعام، يتعامل مع إخوته في حوارات لبقة حتى أفضوا إليه بأحوالهم وأحوال أسرتهم، ولربما أوحوا إليه أن لهم أخًا لا يطيق أبوه فراقه؛ فكانت النتيجة تقضي إلى استدراجهم ليتحدثوا إليه بحالهم وحال أهلهم وصفتهم. وهذا هيأ له أن يقول لهم: ﴿ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ﴾ فهذا القول يفصح عن وجود حوارات مضمرة أوصلت إلى هذا القول. ثم قدم تفضله وتطمينه لهم

وإغراءه: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾، ثم عقب بعكس لينتقل بهذه العبارة إلى الاحتجاج فيقول لهم مرغبًا ومرهبًا: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝٥٩ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ۝٦٠﴾، كأنه كان قد احترز إداريًّا لأمره؛ ففرض نصيبًا مقررًا لكل وافد، وربما لكل قبيلة، وهذا ما يشير إليه قوله: ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾ وكأنه حقٌّ لهم، وسيمنعهم من الحصول عليه إن لم يأتوا بأخيهم معهم.

وفي موقف التعارف بأخيه تتمازج لغة الملك والإداري بلغة الرحم؛ فتسبق لغة الرحم، ولكن في أسلوب الملك، فقد أخبره قبل أن يكيد له في حادثة الصواع لئلا ينتابه الفزع والجزع: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ أي أنه عرفه من بينهم، وأما هم فقد عرفهم من الزيارة السابقة. ثم أخبره موجزًا ومؤكدًا: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ فعبر عن نفسه بالضمير مرتين، وبضمير المخاطب مرة، وبالفعل الموحي مرة، وهو فعل الإيواء والاختصاص به. وقال له: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ولم يشر إلى ما يخطط له هو. وفي موقف الملك العادل يقول: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾. إن الأخذ والظلم مصطلحان للقوة والتمكن والقدرة ونلحظ لغته المتسمة بالتعظيم: نأخذ، إنا، لظالمون. بما يتناسب مع المقام الملكي. وفي القول بلاغة، فهو لم يلصق التهمة، ولم ينف وقوع الحدث. وفي هذا لباقة وبلاغة وحذر من إشاعة التهم. أما في قوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ فإنها لغة المعترف الممتن بالفضل، الخائف على نعمته من الزوال، لغة الوفي صاحب الأمانة والخلق الرفيع.

5- **تواضعه وممارسته لمهامه بنفسه:** ومن ذلك أن الفتية لم يناقشوا يوسف في إعادة بضاعة إخوته إليهم، مع أنه قدم لهم تعليلًا منطقيًّا، وهذا فيه إشارة صريحة إلى تواضع يوسف،

وإلى قربه من عماله، وإلى مباشرته لأعماله بنفسه، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ وَأَنَا﴾ ويدل أيضًا عليه قوله لإخوته: ﴿أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ ثم قولهم له: ﴿فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾، أي أنهم لاحظوه عن قرب.

7- **تميزه وتفوقه**: مثلما تميز يوسف في ثقافته ومبادئه فإنه قد تميز أيضاً في الجانب الدنيوي باعتباره إنسانًا يحمل عِلمًا لجميع الناس، وليس بوصفه نبياً يبتغي أن يوصل رسالته الدينية أولًا. ولذلك نجد أنه دعا السجينين ولم يلح عليهما، وأفتاهما ثم أفتى الملك في رؤياه، رغم مظلوميته ومفارقته دينهم. وفي تعامل يوسف مع الأحداث إقبال على الحياة لا هروب منها، حتى وهو في السجن نجده كريما معطاء بعلمه وتخطيطه. كما نجد أنَّ السرد بعناصره المتلاحمة يتكفل برسم صورة مشرقة للشخصية الرئيسة من خلال مواقفها عند تعرضها للأزمات، ومن خلال تميزها في القول والتصرفات، ومن خلال إسهامها في حل العقدة.

ثانيا: خصائص القيادة الرشيدة

تقودنا السمات القيادية التي تمتعت بها شخصية يوسف إلى استنباط مجمل خصائص القيادة الرشيدة في قصته، ومنها:

1- التفكير والتخطيط الاستراتيجيين القائمين على التمكن العلمي، وكذا التنفيذ المستند إلى العلم. ويظهر ذلك في تأويله لرؤيا الملك وتقديم الحلول. كما يظهر ذلك من خلال خطة الخمس عشر سنة التي قدمها للملك لمواجهة أزمة مستقبلية، و حدَّد من خلالها التهديدات المتوقعة والفرص الممكنة لمواجهتها، وأنه بادر إلى تقديم نفسه باعتباره قادرًا على تنفيذ الحلول المقدمة في ضوء العلم والسلوكيات المتعلقة بإدارة شئون الخزائن في قوله: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾.

2- المبادأة والمبادرة. وتعنيان توقع المخاطر المحتملة وبناء تصور تفصيلي لمواجهتها قبل أن تقع، وتقديم رؤى وتصورات شبه مستحيلة، والإصرار على تحقيقه، ويتجلى ذلك في عدم اكتفاء يوسف بتأويل رؤيا الملك حسب طلب الملك، بل بادر إلى تقديم الحلول للأزمة المستقبلية، فتفسير رؤيا الملك كان يقتضي أن يقول: سوف تأتي سبع سنين جدب، تليها سبع رخاء، لكنه بادر بتقديم الحلول قبل أن تقع الكارثة، بل وهو ما يزال في السجن ولم يشترط حلا لمشكلته. وهذا يقودنا إلى خاصية أخرى وهي:

3- الاهتمام بالقضايا العامة قبل القضايا الخاصة. إذ لم يتطرق لقضيته الخاصة إلا لتحقيق براءته، ولم يجعلها ضمن اشتراطات تأويل الرؤيا أو تقديم الحلول.

4- قوة الشخصية والثقة. ويظهر ذلك في مواطن شتى، ولكنه يظهر بجلاء أكثر في لغة صارمة في قوله للسجينين: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾.

5- الفصل بين مصالح الناس وبين المبادئ الشخصية. فقد أسدى خدمته للسجينين دون أن يطلب منهما اتباع مبادئه، كما أنه تفضل بتقديم تأويل الرؤيا للملك كذلك، بل قام بخدمة الدولة وإدارة شئون الأزمة، دون أن نلحظ أي إشارة إلى اشتراطات دينية.

6- إشاعة الأمل، وبث روح العزيمة، والتطلع إلى مستقبل واعد. ويظهر ذلك من خلال الإضافة التي أضافها بعد تأويل الرؤيا في قوله: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾.

7- التخطيط، ثم الجمع بين التفويض والمتابعة المباشرة. ويظهر ذلك في حادثة الصواع -على سبيل المثال- فقد أمر فتيانه أن يجعلوا بضاعة إخوته في رحالهم لعلهم يرجعون، ثم جعل السقاية في رحل أخيه، ولم يقل النص أنه أمر فتيانه، ففي المشهد السابق أفصح عن غرضه، وفي هذا المشهد كان الغرض والفعل خاصين به، أي أنه يحتفظ بقدر ما من الخصوصية في التخطيط والتنفيذ. وتظهر متابعته المباشرة في معايشته وقربه من الآخرين في

وصف إخوته له حين قالوا له: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وفي تحاوره معهم حوارًا يظهر من نتائجه أنه كان تفصيليًّا ومحاطا برعاية الثقة التي زرعها في أنفسهم، حتى أنهم أفضوا إليه بحالتهم، وبوجود أخ لهم من أبيهم.

8- الثبات على مبادئ التميز السلوكية، فضلًا عن الدينية والاعتقادية التي يتمتع بها، رغم اختلاف الظروف مثل: حفظ الأمانة وكتم الخصوصيات، كما في حادثة المراودة. ثم الوفاء، وكتم الغيظ وتجاوز الماضي المتعلق بإخوته، أو بكيد النسوة وسجنه ظلمًا. كما يظهر التزامه بالمبادئ السلوكية في مشهد الختام، فها هو في موقف السيطرة والتفوق التامين يعتزل هذا المشهد المهيب؛ ليلجأ إلى الله بالدعاء أن يلحقه بالصالحين وهو النبي ابن النبي، ويعتزل مشهد الأبهة ليعترف بالفضل للخالق وحده.

9- التواضع. ويظهر في قربه من الآخرين ومحاورته للوافدين، فليست محاورته لإخوته إلا أنموذجًا من محاورته للوافدين، وإنما خصَّت القصةُ الحوارَ مع إخوته بالذكر لما يترتب عليه من مجريات القصة المتعلقة بيوسف وإخوته. وهذا التواضع سمح له بالقرب من الآخرين والاستماع لشكواهم، ومناقشة أحوالهم، فقد دخلوا عليه وقالوا له: ﴿وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾.

10- التثبت وعدم التسرع في إصدار الحكم، مع تيقنه من حقيقة الأمر. ويظهر من خلال مواقف، منها قوله: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ...﴾، وفي حواره مع إخوته وقوله: ﴿ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾، وقوله لهم: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ فلم يتهمه اتهامًا صريحًا.

11- تحقيق العدالة وفق مرجعية واضحة. ويظهر ذلك في تساؤله عن النسوة، و يصبح أكثر وضوحًا في قوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾.

كما نجد أن هناك عناصر و عوامل أخرى تتعلق بالقيادة مثل: القابلية، والتأهيل المتمثلين في الاجتباء والابتلاء. وعامل التمكين والقدرة على التصرف، المتمثل في تحقق التمكين للقيادة؛ فإن من أهم ما يستوجب تمام القيادة أن يكون القائد ذا صلاحيات تمكنه من تحقيق الأهداف المطلوبة منه، أو الغايات التي التزم بتحقيقها.

خلاصة:

اعتنى السرد في هذه القصة القرآنية بأدوار الشخصيات وصفاتهم وأخلاقياتهم، وكشف عنها باللغة والتصوير والمواقف. وقد عملت آليات السرد اللغوية على رسم صورة مشرقة للشخصية الرئيسية، مع إتاحة الفرصة للمتلقي أن يتخيل، وذلك بإغفال بعض التفاصيل؛ وقد أغفلها النص؛ لأنه لا يورد من التفاصيل إلا ما يتناسب مع فنية السرد والغرض منه. ونلحظ أن القصة القرآنية في سورة يوسف قد عملت على تدعيم ملامح الشخصية الرئيسة باستمرار، وكان هذا التدعيم غير متعلق بالنوع أو الشكل أو الهيئة، فقط، ولكن بالنمط أيضاً، فالشخصية وهي في نمط التابع المقهور كانت تجتهد لتصحيح المسار. وحين كانت ضمن نمط التضحية تعددت تضحياتها، وتنوعت صور تلك التضحيات. وإذ تحولت إلى نمط النضج التام ظهرت قدرات الشخصية ومهاراتها الذاتية والقيادية، مستغرقةً حيزًا كبيرًا من نص القصة وأحداثها. وربما كان في ذلك تأكيد على التوجه التربوي للقصة القرآنية، وسعيها إلى تنمية الذات، ونقد السلوكيات الخاطئة، وتعزيز السلوكيات القويمة، وتوجيه المتلقين إلى خصائص الشخصية القيادية، فضلاً عن قدرة القصة القرآنية على توظيف حركة الشخصية لتطوير السرد.

الهوامش والإحالات:

1) الشورى، 52
2) فصلت: 42
3) لطفي فكري محمد الجودي، الخطاب السردي في النص القرآني، خصوصية الرواية وإبداعية المشهد، جذور في التراث، النادي الأدبي الثقافي بجدة، العدد38، أكتوبر 2014م، ص 128.

4) ينظر: المصدر السابق، ص 134.

5) ومثل قصة يوسف قصة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين، وقصة لقمان، وقصة ملكة سبأ مع سليمان، في كونها قصص ورد كل منها في موضع واحد، وفي سياق متصل لمرة واحدة، وفي قصص يوسف، وأصحاب الكهف، وذي القرنين، وبلقيس انتهت القصة بنهاية مبهجة، كما أن في قصص يوسف، وبلقيس مع سليمان، وذي القرنين تشابهًا من حيث إنها تتحدث عن فعل التمكين، أو عمن مكَّنَ الله لهم في الأرض، وتتحدث عن مواقف هؤلاء في تعاملهم اليومي مع العباد وفي توجههم إلى ربهم بالخضوع والإخلاص. بما يسمح باستخلاص عوامل النجاح الإداري وعناصره وسمات القيادة الناجحة، وأساليب الحكم الرشيد للمجتمع في مختلف الجوانب.

6) مثل: العاقبة/ المصائر التي تنتهي إليها الشخصية، و الآثار الفردية أو الاجتماعية، ومناسبة كل عاقبة مع كل شخصية، وهي محط اهتمام التطهير والتهذيب في نهاية كل مقطع أو حادثة أو نهاية القص/ السرد، فعاقبة الصبر عودة يوسف وصيرورته المتطورة، وعاقبة المكر عدم التطور والارتقاء، وعاقبة أحاديث النسوة الزوال، وعاقبة السجين خدمة الملك، وعاقبة الملك خدمة الأمة.

7) بن عيسى باطاهر: طرق العرض في القرآن، الأهداف والخصائص، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت الحولية 22، الرسالة 178، 2001- 2002م، ص 58.

8) عبدالمطلب محمد زيد، بنية المعمار القصصي في القرآن الكريم، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الحولية 28، الرسالة 269. ديسمبر 2007م، ص 69.

9) الخطاب السردي في النص القرآني، ص 159.

10) ورد هذا التعبير في القرآن بالصيغة نفسها مرتين، هنا وفي حديثه عن موسى في سورة القصص، مع تطور خاص في قصة موسى يتمثل في قوله: ((ولما بلغ أشده واستوى...)) وهنا ملاحظات:

- اتحاد العبارة عند النبيين.
- ابتداء فصول الامتحان بعدها.

الخروج: موسى من الديار، ويوسف من السجن، وكلاهما مفارقة للمكان، ولمفارقة المكان دلالته التربوية التي تتجلى في قول موسى: ((ففرت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وعلما...) ففي المكان الجديد كان ظهور أمارة النبوة والنبوغ. وبالخروج من المكان السابق كانت النجاة من فتن أخرى لموسى أو ليوسف، مع اختلاف نوعية الفتنة. وكان لمفارقة المكان أثرها في حياة إبراهيم فقد قال الله عنه: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾.

- ابتداء الحياة في قصر الملوك أو تابعيهم. ويفترقان في أن يوسف اشتراه العزيز ليتبناه، وفرعون عثر على موسى فرق قلب امرأته عليه لتتبناه.
- امرأة العزيز، وامرأة فرعون كان لكل منهما حضور في القصة.
- الكهنة لهم حضورهم في القصتين مع اختلاف نوع العلم والثقافة السائدة والعاقبة وتعاملهم مع القضية المعروضة عليهم.
- الخروج من القصر والعودة إليه، وتفترق القصتان في أن عودة موسى كانت للحوار والاحتجاج للدعوة إلى الله وإلى إنقاذ بني إسرائيل من العبودية لفرعون ومن بطشه وظلمه إياهم، وعودة يوسف كانت لإثبات التمكن والعلم والولاية.
- اشتمال القصتين على الاستباق المؤسس في بدايتهما: "وكذلك يجتبيك... وفي قصة موسى: إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين".
- حضور الأب في قصة يوسف، وحضور الأم في قصة موسى.
- الحضور المختلف لأخ كل منهما، فقد كان حضور بنيامين إلى يوسف بتدبير تدبره يوسف، وكان حضور هارون بطلب من موسى.
- تختلف العاقبة في القصتين، فقد كان يوسف منقذا لمجتمع غير مجتمعه، وكان موسى منقذا لمجتمعه من بني إسرائيل، وكان سببا في هلاك الفرعون.
- تختلف نتيجة التحاور بين الطرفين: يوسف والعزيز، وموسى وفرعون، كما تختلف عقليتهما وطريقة التعامل مع الأحداث، وتعامل الحاشية مع الحدث، وكذا تفاعل المجتمع، فمع موسى كانوا يلجأون إليه ليدعو ربه أن يكشف العقوبة عنهم فقط.
- وردت قصة يوسف جملة واحدة، ووردت قصة موسى مفرقة في مواضع شتى من القرآن.
- الشخصيتان تتمتعان بخصائص وسمات قيادية قائمة على الاجتباء والاصطناع والابتلاء.

11) الرشيد بوشعير، هواجس الرواية الخليجية، كتاب مجلة دبي، العدد 73، ديسمبر 2012م، ص 12.

12) بوشعيب الساوري، وظائف العتبات النصية في كتاب التعرف على المغرب، لشارل دوفوكو، علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، مج 20/ عدد 80، أغسطس 2014م، ص 105.

13) مرسل بن فالح العجمي، الواقع والتخييل، أبحاث في السرد: تنظيرًا وتطبيقًا، كتاب نوافذ المعرفة، العدد السادس، مرفق مع عدد عالم المعرفة رقم 418، 2014م، ص 214.

14) عبدالمالك أشهبون، عتبات الكتابة في النقد العربي الحديث، علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، مج 11، جزء 58، ديسمبر 2005م، ص 279.

15) الرشيد بوشعير، هواجس الرواية الخليجية، 13

16) ينظر: عبدالملك أشهبون، عتبات الكتابة في النقد العربي الحديث، 281

17) المصدر نفسه، 285

18) على سبيل المثال: قوله: "ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين" فهو مقدمة للحدث بعده، ومناسب له، ومضاد في الظاهر لمضمون العبارة الاستباقية في الآية قبله: "وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث" كما أن الآية فيها طي لفترة زمنية غير يسيرة.

19) مرسل العجمي، تجليات الخطاب السردي: الرواية الكويتية نموذجا، الرواية العربية ممكنات السرد أعمال الندوة الرئيسة لمهرجان القرين الثقافي الحادي عشر، 11- 13 سبتمبر 2004م، نشر المجلس الوطني للفنون والآداب، الكويت،ج1، 2009م، ص 71.

20) جوزيف. م. بوجز، فن الفرجة على الأفلام، ترجمة: وداد عبدالله، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 2005م، ص 58.

21) عبدالحكيم محمد صالح باقيس، العنوان وتحولات الخطاب في الرواية اليمنية، علامات في النقد، الرواية في الجزيرة العربية، النادي الأدبي الثقافي بجدة، مج 17، جزء 68، فبراير 2009م، ص 366.

22) عبد العالي بوطيب، العناوين الداخلية في الرواية المغربية، الراوي، دورية تعني بالسرد العربي، النادي الأدبي بجدة، عدد20، ربيع أول 1430، مارس 2009م، ص 43.

23) عبدالحكيم باقيس، العنوان وتحولات الخطاب في الرواية اليمنية، ص 367.

24) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، 12/ 201.

25) المصدر السابق، 12/ 197.

26) محمد صابر عبيد، التشكيل النصي "الشعري، السردي، السير الذاتي" مؤسسة اليمامة الصحافية بالرياض، كتاب الرياض، العدد 179، 2013م، ص 280.

27) ينظر: بوشعيب الساوري، وظائف العتبات النصية في كتاب «التعرف على المغرب»، ص 111.

28) هي إحدى أربع سور تبدأ بـ(الر) وهن مضافات إلى أسماء الأنبياء وهذه السور هي: يونس، هود، يوسف، إبراهيم.

29) التحرير والتنوير، 12/ 201

30) ويتضح هذا بوساطة العودة إلى الجو العام الذي نزلت فيه السورة، كما يذكر المفسرون "وَإِنَّ فِي هَذِهِ السُّورَةِ أُسْلُوبًا خَاصًّا مِنْ أَسَالِيبِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ وَهُوَ الْإِعْجَازُ فِي أُسْلُوبِ الْقَصَصِ الَّذِي كَانَ خَاصَّةُ أَهْلِ مَكَّةَ يَعْجَبُونَ مِمَّا يَتَلَقَّوْنَهُ مِنْهُ مِنْ بَيْنِ أَقَاصِيصِ الْعَجَمِ وَالرُّومِ، فَقَدْ كَانَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ وَغَيْرُهُ يَفْتِنُونَ قُرَيْشًا بِأَنَّ مَا يَقُولُهُ الْقُرْآنُ فِي شَأْنِ الْأُمَمِ هُوَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.وَكَانَ النَّضْرُ يَتَرَدَّدُ عَلَى الْحِيرَةِ فَتَعَلَّمَ أَحَادِيثَ (رُسْتُمَ) وَ(اسْفَنْدَيَارَ) مِنْ أَبْطَالِ فَارِسٍ، فَكَانَ يُحَدِّثُ قُرَيْشًا بِذَلِكَ وَيَقُولُ لَهُمْ: أَنَا وَاللَّهِ أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ مُحَمَّدٍ فَهَلُمَّ أُحَدِّثُكُمْ أَحْسَنَ مِنْ حَدِيثِهِ، ثُمَّ يُحَدِّثُهُمْ بِأَخْبَارِ الْفُرْسِ، فَكَانَ مَا فِي بَعْضُهَا مِنَ التَّطْوِيلِ عَلَى عَادَةِ أَهْلِ الْأَخْبَارِ مِنَ الْفُرْسِ يُمَوِّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُأَشْبَعُ لِلسَّامِعِ، فَجَاءَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى أُسْلُوبِ اسْتِيعَابِ الْقِصَّةِ تَحَدِّيًا لَهُمْ بِالْمُعَارَضَةِ.عَلَى أَنَّهَا مَعَ ذَلِكَ قَدْ طَوَتْ كَثِيرًا مِنَ الْقِصَّةِ مِنْ كُلِّ مَا لَيْسَ لَهُ كَبِيرُ أَثَرٍ فِي الْعِبْرَةِ" فقد كانت قصة يوسف مما لا يعلمه العرب في أحاديثهم وأسمارهم وهي مما اختص به علماء اليهود وأن تسرد على محمد صلى الله عليه وسلم كاملة مستوفاة دفعة واحدة دليل أنه ليس من كلامه في شيء. إِذْ كَانَتِ الْقِصَّةُ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا هَذِهِ السُّورَةُ مُفَصَّلَةً مُبَيِّنَةً لِأَهَمِّ مَا جَرَى فِي مُدَّةِ يُوسُفَ-عَلَيْهِ السَّلَامُ- بِمِصْرَ. فَقِصَّةُ يُوسُفَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً لِلْعَرَبِ قَبْلَ نُزُولِ الْقُرْآنِ إِجْمَالًا وَلَا تَفْصِيلًا، بِخِلَافِ قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ: هُودٍ، وَصَالِحٍ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَلُوطٍ، وَشُعَيْبٍ- عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَجْمَعِينَ-، إِذْ كَانَتْ مَعْرُوفَةً لَدَيْهِمْ إِجْمَالًا، فَلِذَلِكَ كَانَ الْقُرْآنُ مُبَيِّنًا إِيَّاهَا وَمُفَصِّلًا" التحرير والتنوير لتحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، 12/ 197- 199- 200.

31) التحرير والتنوير، 12/ 197.

32) لم يطلق لفظ القص ومشتقاته على الإخبار عن الأمم والأحداث في كل النص القرآني، كما لم يرد بيان النوع الأدبي في بداية القص دائما. ففي الكهف: "نحن نقص عليك نبأهم.." بعد المضي يسيرا في القص. وفي هود: "وكذلك نقص عليه من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك.." بعد الانتهاء من الإخبار ببعض أخبار الرسل مع أممهم. وفي طه: "وكذلك نقص عليك..." بعد الانتهاء من القص، وفي الأعراف: "تلك القرى نقص عليك..." بعد مجموعة قصص ثم بعدها فقرات من قصة موسى مع فرعون، وموسى مع قومه، وبعض أخبار بني إسرائيل.

33) أحمد المسناوي: نظرية الأجناس الأدبية، عالم الفكر، المجلس الوطني للفنون والآداب، الكويت مج 40، عدد3، يناير – مارس، 2012م، 216.

34) ابتدأت سورة القصص بالقص منذ الآيات الأولى، بعد تمهيد يسير يشبه التمهيد في سورة يوسف، والعتبات النصية لافتتاح القصص القرآني متنوعة فمنها قوله تعالى: "أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم"... وفي القصص: "طسم نتلو تلك آيات الكتاب المبين.. نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون علا في الأرض..."، وهي سورة فصل فيها من خبر موسى وفرعون تفصيلا متصلا أكثر مما فصل في غيرها من السور.

35) ينظر: عبد الرحيم الكردي، السرد وكينونة الإنسان رحلة ابن فطومة لنجيب محفوظ نموذجًا، بحوث مؤتمر عُمان الأول للسرد، السرد وأسئلة الكينونة، جمع وإعداد: حاتم بن التهامي الفطناسي، ص 126.

36) التشكيل النصي "الشعري، السردي، السير الذاتي"، ص 271.

37) بنية المعمار القصصي في القرآن الكريم، ص 23.

38) ينظر: أمين عبدالله محمد اليزيدي، الخصائص الفنية في الحكم والأمثال العربية، دراسة تحليلية تطبيقية على كتاب مجمع الأمثال للميداني، أطروحة دكتوراه، جامعة النيلين، السودان، 2005م، ص 174.

39) سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق، ط15، جديدة ومنقحة، 1988م،ص 20 - 31.

40) المصدر نفسه، 4/ 2037.

41) ينظر: نصر حامد أبو زيد، الرؤيا في النص السردي العربي حافز سردي أم وحدة دلالية؟، فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج 13، العدد3. خريف 1994م، ص 113.

42) لعل للرؤيا دلالة رمزية فهي ترتبط بالمستقبل والآتي من الأحداث، وتصرفات الشخصية القيادية تتعامل مع القادم أكثر من تعاملها مع إدارة الحاضر فقط، فهي تدير الحاضر لتتدبر أمر المستقبل من الأحداث.

43) أقصد به أنه زمن غير موجود في القصة إلا بآثاره، ومن ثم فهو مترسب في الثقافة والعادات، وما يظهر هنا من التفاعل مع الرؤيا يدل على أنه ليس وليد اهتمام اللحظة الراهنة.

44) مما يشير إلى أنه قد تولى الخزائن في عهد الملك، وأنه تطور في إمساكه بزمام مقاليد الحكم ما يوحي به النص القرآني من اختلاف الوصف المعبر عن شخصية يوسف، ففي دخول إخوته المرة الأولى:

"فلما دخلوا عليه" وفي المرة الثانية: "يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا"، ثم قال لهم في وقت لاحق: "وأتوني بأهلكم أجمعين" فلم يحضر أهله مع توليه أمر الطعام في أول الأمر، ثم خاطب أبويه: "ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين"، "ورفع أبويه على العرش".

45) أسامة محمد إبراهيم البحيري، أنماط السيرة الذاتية في التراث العربي وتشكيلاتها الزمنية، جذور، النادي الأدبي الثقافي بجدة، العدد 34، يونيو 2013م، ص 83.

46) عادل القريب، رواية "العلّامة" لبنسالم بن حميش، من الإيهام بالحوارية إلى إستراتيجية التناص، عالم الفكر، مج43، العدد3، يناير – مارس، 2015م، ص 278.

47) نظرية الأجناس الأدبية، 215.

48) الآيات 3- 7.

49) الآيات 21 وما تلاها.

50) بنية المعمار القصصي في القرآن الكريم، 19

51) ينظر: نظرية الأجناس الأدبية، 215

52) محمد الولي، مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، عالم الفكر، مج 40، عدد2، أكتوبر – ديسمبر 2011م، ص 11.

53) ينظر: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير.

54) منصف الوهايبي، إسكندرونة أو رنين هاتف في التجريب الروائي والحرية، بحوث مؤتمر عُمان الأول للسرد، السرد وأسئلة الكينونة، جمع وإعداد: حاتم بن التهامي الفطناسي، فبراير 2013م، ص 198.

55) ينظر: الخطاب السردي في النص القرآني، خصوصية الرواية وإبداعية المشهد، ص 158.